سلسلة فقهاء الظلام

الإخوان و الدولة المدنية (الجزء الثالث)



بقلم
د/ سيد القمنى
مدونة
عن مصر أتحدث
3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

١- سعد الدين إبراهيم و الاخوان صـ٤
٢- حوار سامح سامي مع سيد القمني صـ ٣٠
٣- الإخوان و حلهم الإسلامي صـ ٣٧

سعد الدين إبراهيم و الاخوان

تمهيد

لم اعرف الدكتور سعد الدين إبراهيم شخصيا إلا عند اعتقاله في محنته الظالمة ، و قد عرفته لهذا السبب تحديدا ليصبح صديقا عزيزا ، و قد خصصته بدفاعات استغرقت خمسين صفحة هي الباب الأول من كتابي (شكرا بن لادن). و بعد خروجه من السجن بدأت اختلف معه حول موقفة من ضرورة اشراك الإخوان المسلمين في العملية الديموقراطية في مصر بوضعها الحالي الذي لم يأخذ من الديموقراطية إلا اسمها فى صندوق اقتراع خالى من كل القيم الحقوقية للديمقراطية ، و هى القيم التي يرفضها النظام الحاكم و الإخوان معا و جرى بيني و بينه سجالا تم نشرة في حينه بمجلة روزاليوسف و بمجلتع المجتمع المدنى و على موقع شفاف الالكتروني ، و منذ توقفت عن الكتابة جرت في النهر مياة كثيرة كانت هى الدافع و راء فتح الباب لاستكمال سجا ل لم يغلق بعد.

بداية السجال

كانت البداية موضوعا كنبتة لروز اليوسف في ٢٠٠٤/٧/١٧ (بعنوان: سحرالديمقراطية) و اعدت نشرة في كتابي (أهل الدين و الديمقراطية) بذ ات العنوان ، لكن هيئة تحرير روز اليوسف استبدلت العنوان بأخر هو(تحالف سعد الدين و الاخوان.. ديقراطية الهلاك).

لذلك اتصلت بصديقى تليفونيا و أحطتة علما بما حدث حيث لا اشارة بالمرة في موضوعى إلى تحالف بينة و بين الاخوان ، ثم كانت مفاجاتى أن سعدا لم يأبة لمكالمتى ليستثمر العنوان البديل و يرد علية بموضوع: (ديمقراطية النجاة /شفاف ٢٠٠٤/١٠/١٧).

و منعا لتصدع جبهتنا الليبرالية كتبت لة موضوعا لطيفا نشر بمجلة المجتمع المدنى بعنوان (سعد الدين و الاخوان: تفاهم ام تحالف) لأزيل الالتباس , و شرحت فية اعتقادى أن ما بين سعد و الإخوان ربما كان نوعا من التقارب و التفاهم و التعارف ، و أبعد ما يكون عن التحالف , و أكدت على صديقى أن يراجع المفاهيم التي يطرحها الاخوان فربما التبس عليه خطابهم المخادع , و <u>أن سحر الديقراطية و إن كان فاعلا في تحول الأحزاب الأوروبية المسيحية إلى احتضان الديقراطية و الإيمان بها,فذلك لطبيعة المسيحية التي تعطى ما لقيصر لقيصر و مالله لله , و ليس لديها شريعة تريد تطبيقها على الناس عبر السياسة , لكن هذا السحر الديقراطي</u>

لايجدى أبدا مع الجماعات الاسلامية التي تحمل مشروعا متكاملا بديلا لمفهوم الدولة الحديثة بالكامل.

و لكن بعد مضى الشهور المنصرمة , و ما قرأتة بقلم سعد الدين ابراهيم بهذا الخصوص , دفعنى دفعا لاتخاذ موقف جديد منة لم يعد يفترض حسن النوايا , حيث و ضح لى أن حسن النوايا هو الطريق إلى جهنم فعلا. و بعد مضى الشهور المنصرمة , وما قرأته بقلم سعد الدين , بدأت أسجل منة موقفا و لم أعد أفترض أن المسألة مجرد تعارف كما سبق و قلت في الموضوعين السابقين , فقد اكتشفت فعلا أن الطريق إلى جهنم مفروش بحسن النوايا و ان بعض دعاة المجتمع المدنى الذين أجلهم و أرى على رؤوسهم هالات القديسين لم يكونوا كما كنت اعتقد بهم , وهو ما كان صدمة شديدة لنظرتى المثالية إلى العلمانيه و رجالها , و إن لم يغير ذلك من مبادئى شيئا.

سحر الديمقراطية:

في هذا الموضوع و ضعت محاذير كثيرة إزاء دعوة سعد الدين لمشاركة الإخوان في عملية الإصلاح الديمقراطي , أهمها أن مبادىء الإخوان العامة , هى الايديولوجيا التي حكمت بلادنا منذ غزاها العرب و أستوطنونها قبل ١٤٠٠ عام مضت و حتى اليوم , ولم تصلح شيئا في بلادنا بل كانت سببا في انهيار مصر أم الحضارات و تخلفها , و لو كانت لديهم أدوات اصلاح لاستخدموهاعبر تلك القرون الطويلة و لأصبحنا من الأمم المحترمة.وهى ذات الأيديولوجيا التي يصرا الاخوان على التمسك بها للإصلاح الآتى بأدوات و مفاهيم ١٤ قرن مضت , و لا تحمل أي أدوات أو مفاهيم للإصلاح بالمعنى المطلوب اليوم.

وتأكيدا لذلك قمت بمناقشة مبادرة الاخوان للإصلاح التي أعلنها مرشدهم محمد مهدى عاكف في ٢٠٠٤/٣/٣ و هى منشورة على موقعهم الالكترونى. حيث ظهرت في هذه المبادرة أشد الآراء ظلامية و شرا و تخلفا , و على مدى عام كامل ناقشت ما يقول الاخوان الكبار أولا باول ، نقاشا موضوعيا فى شكل اسئلة و استفسارات تطلب منهم اجابات و اضحة محددة لاتحتمل لبسا ، لكنهم لم يردواأبدا ، لأنهم ببساطة لايملكون ردا.

وكان مناط خلافى مع سعد هو دعوتة قبول انخراطهم في صندوق الاقتراع ، دون إعلان و اضح من جانبهم و بضمانات كافية تطمئنا على تغيرهم ازاء تاريخهم الارهابى ، هوطريق يؤدى إلى كارثة.

وقد ركزت مطالبى للاخوان في أن يعلنوا الموافقة على المبادىء التأسيسية للمفهوم الديمقراطى في شكل أسئلة:

١. هل سيوافقون على حق تشريع البشر لأنفسهم حسب مصالحهم ، أم سيصرون على تطبيق الشريعة الاسلامية؟
٢. هل سيعترفون للمرأة بالاهلية الكاملة كالذكر أم ستظل ناقصة حقوقيا في ميراثها و شهادتها باعتبار تلك حدود الله؟
٣. هل سيكون لها الولاية عند الاستحقاق كرئيسة و زراء اورئيسة جمهورية و هو مايتعارض مع الشريعة التي ترفض الولاية للأنثى على الذكر؟
٤. هل سيكون للأقباط حقوق مواطنة كاملة كالمسلمين؟

ومن ثم ركزت نقدى للدكتور سعد على مايعلمة هو و الناس كلها تعلمة ، و هو ماجرى خلال خمسين عاما من تزييف و عى الناس ، كناتج طبيعى و ضرورى لإعلام موجة ، بامتلاك الحكومة للدولة و وسائل التعليم و الأعلام فيها الذي لم يعد يعرض شيئا غير الإسلام ، فلم يعد الناس يعرفون سوى سلعة و احدة معروضة في سوق المبادىء و الأفكار هى الإسلام و حده.

ونتابع الدكتور سعد لنجدة يقول فى (ديمقراطية النجاة) ما نصه ً: " فنعم لدي هواجس و مخاوف ، و هو أدعى للحوار لا الانزواء و الجمود أو المقاطعة. نعم نحن نطلب منهم ضمانات لفظية و مكتوبة. نعم نطلب منهم الإقرار الكامل بحقوق المواطنة الكاملة ، بما في ذلك تقلد كل المناصب العامة حتى رئاسة الجمهورية لغير المسلمين و للنساء ، نعم نطلب منهم ألا يفرضوا و صاية روحية أو يدعوا احتكار الحقيقة الإيمانية أو يحاولوا فرضها في أمور المجتمع و الدولة و التشريع إلا بموافقة الغالبية المنتخبة َ".

لقد كنت أتصور أن الدكتور سعد مخدوع في الإخوان ، فإذ به يعلم ما يعلم الجميع عنهم ، و إذ به يحمل ذات الهواجس و المخاوف التي نعاها على شخصي الضعيف ، و إذ به يعلم أنهم لا يقرون بحق المواطنة الكامل لغير المسلمين ، و إذ به يعلم أنهم يرفضون و لاية المرآة على الرجال ، و إذ به يعلم أنهم يفرضون و صايتهم على الناس ، بينما اتهمني و أنا شريكه في البيت ألليبرالي بالوصاية على الناس ، و إذ به يعلم ادعائهم احتكار الحقيقة الإيمانية ، و إذ بة يعلم أنهم يحاولون فرض حقيقتهم على الناس ، لأنه عندما يطالبهم بهذه المطالب فهو يعلم يقينا أن تلك معايب أساسية و جوهرية في الإخوان ، و تضعهمأ فى حالة عداء لكل الحقوق الإنسانية التي توافقت عليها الدنيا ، لذلك لم يقولوها أبدا حتى الآن ، لذلك يطالبهم حتى لو بالإعلان لفظا ، بضمانات كلامية ، يطالبهم أن يقولوا مجرد القول الذي لم يقولوه

أبداحتى الآن ، و يتطلع إلى هذا القول يوما ما مكتوبا ممهورا بتوقيعهم ، و رغم علمه بكل هذا حارب حربا شرسة ضروسا من أجل إشراكهم فى عملية التحول الديمقراطي بمصر.

رغم علمه بسيادة خطابهم على الشارع المغيب الذى سيعطيهم صوته بفضل اعلام و تعليم دولتنا و حكومتنا المستبدة ، و رغم علمه أنهم لم يتراجعوا لحظة عن مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية التي هي النقيض التام للمفاهيم الحقوقية فى المجتمع الديمقراطى ، و أنهم إذا حدث و شكلوا الأغلبية فسيفرضونها على القانون و المجتمع و الدولة. فإذ بسعد الدين لا يمانع فى ذلك أبدا ما دامت لن تتم كما يقول: "إلا بموافقة الأغلبية المنتخبة". و التي ستكون هي الإخوان بضرورة و اقعنا المؤسف في بلادنا.

فكانت لمفاجأة في قوله "إن حوارا قد بدأ بيني و بين الجماعات الإسلامية في سجن مزرعة طره ، و كان أساسه لماذا أهتم العالم بي و لم يهتم بالإخوان ، و سألني الإخوان كيف نوصل و جهة نظرنا للعالم الغربي.... و بعد الخروج من السجن اجتمعنا أنا و بعض أعضاء الجماعة أمثال عصام العريان و محمد عبد القدوس و مختار نوح ، و بعض الغربيين ، و الأمريكيون رفضوا الحوار. و جلسنا في النادي السويسري بامبابه و استمر الحوار يوما كاملا ، ثم تركتهم معا لاستكمال الحوار ، و هذا كان دوري".

أذكركم أني قلت في موضوعى (سحر الديمقراطية) أني أفترضت أن سعد الدين التقي بالإخوان في حبسه الظالم ، و أنهم تمكنوا من التأثير عليه بخاطبهم المخاتل ، و ثم أذكركم أن سعداً قد و صف كلامي هذا في رده (ديمقراطية النجاة) بأنه كلام " مبني على ادعاءات صحف مباحثية ".

وإذا باحتمالي ليس احتمالا بل هو حقيقة جرت بها الكلمات على لسان سعد الدين نفسه ، و أنه ليس ادعاءات صحف مباحثية ، و أن لقاءات السجن و اجتماعات التفاهم و التأثير و التأثر قد حدثت ، قبل اللقاء العابر الوحيد حسب قوله بعد خروجهم من السجن فهل كانت لقاءات السجن (ولا نعرف عددها بالتحديد) كانت غير محسوبة عند سعد؟ و كم لقاء كانت ياترى؟ أم أنها كانت مشاركة حياتية كاملة؟ و لماذا لم يذكرسعد تلك اللقاءات في موضوعه (ديمقراطية النجاة)؟ و لماذا اكتفى باتهامي بكل نقيصه؟ و هل بذلك الحديث المخاتل يكون سعد الدين رجل مجتمع مدني حقا؟ و ماذا يداري و ماذا يبطن؟ إن هذا الحديث ذو الوجهين لا يليق بداعية حقوقي أبداً.

ولتبرير دعوته لإقامة الإخوان حزب ديني إسلامي ، ركز في (ديمقراطية النجاة) على و جود أحزاب مسيحية في العالم الغربي تشارك في الفعل الديمقراطي و لا تنقلب على الديمقراطية ، ثم عقب قائلا: "فهل ذلك حلال لهم و حرام علينا؟ و هل المسلمون أو حتى المتأسلمون غير قابلين للتغيير و التطور؟ اليسو بشرا لا حجرا؟".و قد أثارت شفاف في حوارها معه هذه النقطة و قال له الصحفي سامح سامي: " هذا حدث في الغرب لطبيعة الدين المسيحي. و الإخوان لم يمروا بأحداث كالتي مرت بها أوربا ، و لا يصلح معهم تطبيق مفاهيم تتعلق بطبيعة الديمقراطية مثل التنويرأو التسامح أو العلمانية ". فكان رد سعد المبهر حقا: " ما تقوله غير صحيح على الإطلاق ، العالم كله يتغير و الكل قابل للتغيير إلا فئة قليلة تعتبر التغيير انتهاء لسلطتها ، مثل حسني مبارك و البابا شنودة".

عندما سبق و قلت أن الإخوان لم يتغيروا ، أصر سعد على أنهم قد تغيروا لأنهم بشر لا حجر و عندما قلت أنهم يمارسون الوصاية على الناس ، قال لي أنك أنت من يمارس تلك الوصاية و تعتبر الناس قاصرين دائما.

ثم نكتشف أن سعد يعلم أن هناك أناس لايتغيرون و أنهم حجر لابشر و ضرب لهم مثل بحسني مبارك و البابا شنودة. فأي معياريستخدمه سعد لنعرف منه من يتغير ممن لا يتغير؟ هل المعيار هو أن من لايتغير و يرفض التغيير هو من يعتبر التغيير انتهاء السلطة؟

إذا لنستمع إلي المرجع ألإخواني الكبير الشيخ يوسف القرضاوى يشرح لنا لماذا لا يقبل الإخوان و كل المشتغلين بالإسلام علينا من الديمقراطية سوى صندوق الاقتراع و حده ، مع رفض كل ما يرتبط به من أنظمة و قوانين و مؤسسات تحمي هذه الديمقراطية ، من حقوق إنسان هي أساس هذه الديمقراطية ، هي في جملتها مانسميه العلمانية ، و يطرح علينا الموقف في شكل قياس منطقي يقول: "إنه لا كهانة في الإسلام. و لاتوجد فيه طبقة كهنوتية. فليس للإسلام سلطة دينية بابوية. على أن العلمانية إذا فصلت دين المسيحي عن دولته لايضيع دينه و لا يزول سلطانه ، لأن لدينه سلطة قائمة لها مؤسساتها و لها رجالها و مالها. بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية ، فإن النتيجة أن يبقى الدين بغير سلطان يؤيده و قوة تسنده...و هذا لا يعني إلا انقراض سلطة الدين الإسلامي بالمرة".

المصيبة التي تسببها الديمقراطية الحقوقية العلمانية هي أنها ستبقى الإسلام بدون سلطان ، و بالطبع الإخوان و رجال الدين و كل العاملين به. و هكذا يبدوالإسلام غير قادر على الاستمرار بقوته الذاتية بل بالمشتغلين بالدين علينا !! إنهم يتصورون أنه لولا و جودهم لضاع الإسلام. أنظر لحجم و كيف نظرتهم لدينهم و مدى ثقتهم

فيه !! و للتأكيد يستطرد قرضاوي: "إن العلمانية عندهم لم تمح سلطة الدين و رجاله ، إنما فصلت بين السلطتين ، أما نحن فليس لدينا سلطة دينية مقتدرة (لاحظ مقتدره هذه !!) فالعلمانية عندنا تعنى تصفية الوجود الإسلامي / كتابه الإسلام و العلمانية / مكتبة وهبه / القاهرة / ص ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٩٠ ، متكررات".

وهكذا نرى اضحا أن من يرفض أن يتغير ، و يعلن ذلك ، و يفصح عن خشيته من التغيير على سلطته ، هم الإخوان المسلمون بالمعيار الذي أختاره الدكتور سعد بنفسه.

متغيرات سعد الدين:

الواضح إذن أن الأخوان لم يتغيروا إنما من تغير هو سعد الدين إبراهيم ..... تعالوا معي نتفحص لغة سعد التي أصبحت إحدى السمات الجديدة في خطابه ، فهو لا ينهي موضوعا من موضوعاته إلا بالخاتمة المشيخية "والله أعلم" !!

و هي العبارة التي يستخدمها كل مفتى من مفتى الجمهورية الشيخ على جمعة الى المفتى الشيخ الفسخانى بإمبابة ، و هى ان جازت لهم فهى لاتجوز لرجل مثل سعد ، خاصة مع تكرارة الدائم لها. فتكرارها هو تدريب للعقل المسلم لينسحب من العلم و لايتعامل معه كوسيلة و اداة للمعرفة ، بينما فى العلم (وسعد رجل علم اجتماع) نحن من يعلم و ليس الله ، و ليس فى العلم شىءاسمة (الله اعلم) فالعبارة اخلاء تام و صريح لسعد من مسئولية ما يقول. و لا يخدعنى القول انها خاتمة يقصد بها التواضع ، لان العبارة تصدر منة كأى اخوانى عتيق لتعبر عن كون الحقيقة و المعرفة و المعلومة شيئا مخفيا ، و ان الله هو من اخفاها ، لذلك لايعلمها الا الله و هو وحدة من يعرفها. ان عبارة (والله اعلم) المتكررة فى خطاب سعد الدين هى دعوة صريحة لعدم البحث و المعرفة و العلم ، بينما كان سعد من قبل يكسر تلك القاعدة و يعتبرالحقيقة مشاعا موضوعيا لمن يبتغيها و يبحث عنها.

تعالوا نتابع التدقيق فى عبارات سعد ، و هو يقول انى بنيت موقفى من الاخوان الرافض لمشاركتهم فى الفعل الديمقراطى و هم على حالهم " استنادا الى مواقف معلنة فى الماضى من جانب بعض رموز الاخوان ، و ان مبادئ الاخوان و سلوكياتهم التقليدية معروفة لى و للكافة ، كما كان معروفا لى ما طرأ عليها و عليهم من تغير و تطور فى العقود الثلاثة الاخيرة ".

إن الدكتور سعد يدافع عن الإخوان بكلامة و عقلة و روحة و قلبة و قلمة و كبدة و يغالى و يشتط حتى يصبح إخوانيا اكثر من الإخوان ، فالإخوان لم يقولوا ابدا انهم قد تراجعوا عن مواقفهم القديمة ، و لم تصدر منهم إدانة و احدة لتلك المواقف. و لم

يقولوا أنها كانت مواقف ماضية ، و لم يقولوا أنها صدرت عن بعضهم كما يقول سعد ، لأنها أيديولوجيا متكاملة ، من أنكر بعضها فقد خرج عليها كلها ، بل و يكون قد انكر معلوما من الدين بالضرورة ، و هى قاعدة أساسية عندهم لامجال لمجرد مناقشاتها. و لم يقل بعضهم و قال بعضهم ، و لم يدع الإخوان أنفسهم يوما مثل هذا الادعاء.

أما عدم اعتبار سعد لمكالمتى التلفونية معة حول تغيير روزاليوسف للعنوان (سحر الديمقراطية) إلى (تحالف سعد الدين و الاخوان - ديمقراطية الهلاك) ، هو سلوك أقل ما يوصف بة انة غير أمين لايتصف بة العلماء المدنيين ، إنما هو خاصية إخوانية معلومة تعمد إلى المراوغة و تعتمد الانتقاء و التربص و التصيد لهزيمة الخصم و لو بوسائل رديئة.

انظر معى إلى المراوغة و الالتباس و الخداع فى علم سعد ان الاخوان لم يلفظوا و لو قول باللسان حتى الآن ، يعلن موافقتهم على الحقوق الإنسانية و المواطنة ، لذلك سعد يطالبهم بها ، و مع ذلك يزعم أنهم قد تغيروا و أنة هو شخصيا يعرف أنهم قد تغيروا لأنهم بشر لا حجر ، و أن من لم يتغير هو حسنى مبارك و البابا شنودة لأنهم بالضرورة هم حجر لا بشر.

وتوجية سعد سهامة إلى راس الكنيسة المرقسية المصرية الوطنية دون سبب و اضح ، و دون و جود الكنيسة او البابا فى الموضوع برمتة من اولة إلى اخرة ، إنما يشير إلى أن تحت الوجة الذى نعرفة لسعد ، لحية كثة و جلباب قصير ، لأن الهجوم على الكنيسة بمناسبة و دون مناسبة هو خطاب سلفى فاشى طائفى عنصرى معلوم. و رغم كل تجاوزات الإخوان فانهم لم يهاجموا رأس الكنيسة المصرية بدون مناسبة كما فعل سعد ، ان أقوال سعد الملوثة للمختلف معة تفصح عن الشيخ الأصولى القابع بداخلة ولا يترك سعد فرصة إلاويصب جام غضبة على حسنى مبارك ، و ماعلينا ، بل هو لنا ، لكن لنقرأ و ندقق ماكتبة أولا ، لنفهم ثانيا ، يقول سعد فى شفاف بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٤:

"فالرجل (اى حسنى) بحماقة نظامة و رعونة حزبة الوطنى و سوء أداء اجهزتة الامنية ، أفرغ الفضاء المصرى العام من كل البدائل السياسية الفاعلة والقادرة على المنافسة الحقيقية. أى أن مبارك دون تجنيد أو عمالة للإخوان ، أدى لهم موضوعيا و دون قصد خدمات تاريخية تجل عن الحصر.. فشاة إيران هو الذى افرغ الساحة الإيرانية للخومينى ، و صدام حسين هومن أفرغ الساحة العراقية للسيستانيين ، و حسنى مبارك هومن يفرغ الساحة المصرية للإخوان المسلمين".

كل هذا جميل ، و لكن ما لسعد و ما لآية الله السيستانى ، و ما لسعد و السيستانيين؟ ربما لوقال سعد ذلك عن جيش المهدى أو فيلق بدر مثلا ، اوعن الشاب العصبى مقتدى الصدر مثلا ، لفهمنا و و عينا و ثمنا كلامة ، لكن أن يهاجم السيستانيين بالتحديد ، بينما السيستانى هومن دعى أتباعة دوما إلى العقل و المشاركة السياسية و عدم الردعلى العنف بالعنف ، رغم ما يتعرضون له من مجازر يومية من العرب السنة الزرقاويين ، فهو الأمر الغريب المثير للريبة... إن سعد يوجة نقدة كما لوكان السيستانيون هم من ملأ الساحة بعد صدام بالهدم و الدم و التفجيروالخراب. و إن سعدا لم يهاجم الشاب مقتدى و لا جيش المهدى لانه حتى كتابة مقالة هذا كان الشاب مقتدى بتوجيهاتة و أهدافة يقدم خدمات جليلة للسنة الزرقاوية ، و كان مرضيا عنة من القاعدة و لومؤقتا ، لذلك ذهب سعد يهاجم رجل السلام الجليل بدون مناسبة كما سبق و هاجم رأس الكنيسة المصرية بدون مناسبة ، بينما كان السيستانى و لم يزل ، يعلم أن تماسك العراق و ما حولة ، أو تفجر العراق و ما حولة ، يمر من تحت كفية المتشابكتين دوما فى خشوع القديسين ، لذلك كان السيستانى هو رأس الحكمة فى كل ما حدث و يحدث بالعراق.

ألم يسمع الدكتور سعد رجل الدين الشيعى السيد أياد جمال الدين و هويطالب بقيام دولة علمانية مدنية بالعراق كى ننقذ الإسلام من مخالب السلطة ، و يقول لنا "كفى خطفا للدين منذ اربعة عشر قرنا ، كفى من الاستبداد الدينى" ، إن رجل الدين الشيعى هنا اكثر مدنية من سعد الدين ، ثم ، أبدا لم يعتد الليبراليون و أهل المجتمع المدنى تحقير أوتصغير أواتهام الرموز المقدسة لمختلف الأديان ، و البابا شنودة و آية الله السيستانى من تلك الرموز المقدسة و العزيزة لأصحابها و المؤمنين بها. إن لغة سعد لم تعد حتى لغة ليبرالية تحافظ على قيم العلمانية ، إن لغة سعد أصبحت وهابية إقصائية ، فكما هى ضد غير المسلمين ، هى أيضا ضد كل من خالف مذهبها خاصة الشيعة الذين يسمونهم الروافض ، و حتى لوكانو ا أهل سلام و محبة كالسيد السيستانى ، و حتى لوكانوا مواطنين مصريين صالحين كالأنبا شنودة.

هكذا تكلم الإخوان:

ان سعد الدين على يقين بالتغيرات التى طرأت على الإخوان المسلمين ، خلال العقود الثلاثة الآخيرة ، فهلا قدم لنا أدلتة و شهادتة على ما يقول حتى نعلم منه ما يعلم هو و ما لايعلم كل الناس؟ و حتى يطلعنا سعد على ما لم نكن نعلم ، نطلعة نحن هنا على ما نعلم.

فى أواخر عام ١٩٩٩ أى قبل أحداث ١١ سبتمبر بشهور ، أصدر المرجع الإخوانى قرضاوى كتابا ضخما فى تمجيد الإخوان الذين سيقيمون الخلافة الراشدة ، حيث

أكد فيه أن سلوك الإخوان هوسلوك الخلفاء الأربعة الأوائل ، بل و أتبع اسم كل رمز إخوانى يعرض له بعبارة (رضى الله عنه) الخاصة بصحابة النبى و حدهم.
كان الرجل فى قمة نشوتة بأنتصارات الصحوة الإسلامية و ما حققتة من نجاحات فى إطلاق اللحى و تقصير الجلاليب و ضرب الحجاب على النساء و حصار الثقافات و الفنون ، و تمكنت من بسط سلطانها على عقل الشارع الإسلامى فى كل مكان (وهذه أمثلته هو على ما حققه الإخوان من نجاحات) ، أقتطع هنا فقرة و احدة عشوائيا من كتابة الذى يعبرعن كل سطر فيه عن الزهو الإخوانى و استعدادهم لاستلام قيادة الكوكب الأرضى ، فيقول:

"لقد استطاعت حركة الإخوان المسلمين أن تقاوم الغزو الثقافى و تهزمه هزيمة ساحقة فى عدة معارك.. و اليوم يتجاوز الفكر الإسلامى هذا الموقف و ينتقل من الدفاع إلى الهجوم ، و من الاعتذار إلى المواجهة ، و من الانبهار بالحضارة الغربية إلى الكشف عن خوائها.. و أصبح الذين كانو يدعون منهم إلى تقليد الحضارة الغربية.. فى حاجة إلى الدفاع عن أنفسهم ، بل البراءة من دعواهم. و عدد منهم انتقل إلى الخط المتحالف مع الإخوان و انضم إلى قافلة الدعاة للإسلام. لقد اصبحت الهوية الإسلامية حقيقة و اقعية بعد أن كانت مثار جدل ، و طاردت الحركة الاسلامية الفكرة العلمانية المستوردة التى تعزل الدين عن المجتمع و عن الدولة و سياستها.. و استطاع الفكر الإسلامى أن يثبت صلاحيتة لكل زمان و مكان - كتابة: الإخوان المسلمون / مكتبة و هبة القاهرة ، ص٢٠٨ ، ٢٠٩)

واذا كانت النشوة قد بلغت بالشيخ العجوز كل هذا المبلغ ، فلامؤاخذة إذن إن استعجل تلامذة قرضاوى و الإخوان من الشباب الوصول السريع إلى سيادة العالم ، فحملوا السلاح ضد أوطانهم و ضد العالم ، بعد ان غسل المعتدلون الذين لا يحملون السلاح أدمغة من يحملون السلاح ليحملوة ، و هوما أدى الى أحداث ١١سبتمبر الرهيبة ، و أفرغ نتائجة فى تحالف دولى ضد الإرهاب الإسلامى الدولى بدورة ، و تم إسقاط نظام طالبان ، ثم نظام صدام ، و يالهفى على عراق يلعق دم جروحة إن زمن الطاغية أو زمن الخلاص المفترض ، مع مطالبة دولية صارمة للجميع فى منطقتنا بضرورة إصلاح ديمقراطى على كل المستويات حتى توقف المبادئ الديمقراطية تفريخ العنف و تصديرة. و هو ما دفع الجميع و فى مقدمتهم قرضاوى و إخوانة لإعلان إيمانهم أن الديمقراطية إنما هى روح الاسلام و جوهرة المتين ، و أنهم قد تراجعوا عن فكرة إقامة دولة دينية ثيوقراطية ، لكنهم سيقيمون دولة ديمقراطية إسلامية !!

سبق لى و ناقشت طروحات الإسلاميين حول الديمقراطية فى أكثر من عشرين دراسة منشورة ، ثم ضممتها إلى كتابى (اهل الدين و الديمقراطية) ، و إلى كتابى (شكراً.. بن لادن) ، و فى هذه الدراسات لم أجد فى جديد الإخوان سوى لون من التقية الرديئة المعروفة و المقننة شرعا ، فيعطيك من طرف اللسان حلاوة و يروغ منك كما يروغ الثعلب ، فهل هذا هو التغيير الذى يقصدة الدكتور سعد فيما طرأ على الاخوان؟ لقد دعوتة فى ردى (سعد الدين و الإخوان تفاهم أم تحالف) ألايهتم بعنوان لم اضعة بنفسى ليكرس لة موضوعة ، و أن الأجدى بة أن يتناول صلب القضية فيما قدمته من نقد لمبادرة الاخوان و اقوالهم حول الديمقراطية ، بأسانيد قواطع ، و أن يرد علينا ليفحمنا إن استطاع حيث لامكان للأحاديث العمومية و الألفاظ الفضفاضة ، إنما للدليل و الوثيقة و البرهان و القرينة.. لكن سعدا على ما طرحنا لم يرد ، و ذهب يحتج على العنوان و أنه غير حليف للاخوان ، أما الإخوان أنفسهم فلم يحيروا ردا على أى سؤال و اضح طرحناة عليهم حول مبادرتهم للإصلاح الديمقراطى حتى تاريخة. و لأنة من الصعب هنا تكثيف عشرين دراسة مطولة ، فسأكتفى بإشارات سريعة جمعتها مجددا من على الشبكة الدولية للمعلومات ، و هى الإشارات التى تثبت بلسان الاخوان أن دعاية سعد الدين لهم بالتغيير هى دعاية خادعة و كاذبة.

فى ٢٠٠٤/١١/٣٠ أجرى الصحفى النابة سامح فوزى حوارا لصحيفة الحياة مع مأمون الهضيبى المرشد العام حينذاك للاخوان و سألة: "هل الأقباط مواطنون أم أهل ذمة ؟" و على عادة الاخوان الملتبسة الخداعية اجابة: "هم الإثنين معا" لكن سامح أصر على رد و اضح محدد قاطع مما أضطر المرشد للكشف عما فى القلب من جوه بقوله: "هم أهل ذمه" !! و بعد و فاة الهضيبى و حلول مهدى عاكف محلة مرشدا ، صرح نائبه محمد حبيب لصحيفة الزمان اللندنية فى ٢٠٠٥/٥/١٧ بالقول:

"نحن جماعة الإخوان نرفض أى دستور يقوم على القوانين العلمانية ، و لهذا السبب فإنه من غير الممكن أن يشكل الأقباط أى كيان سياسى ، و حين نستلم السلطة و الحكم فى مصر (أنظر الى الثقة التى لاتهتز)!! فسنقوم باستبدال دستورها بدستور إسلامى يمنع تعيين غير المسلمين فى المناصب السيادية و فى الجيش".
و ليس الدستور ما سيتم استبداله بغيره و كفى ، بل كل القوانين المدنية لتحل محلها الشريعة الإسلامية ، و هو ما صرح به الدكتور عصام العريان فى حوار مع ما يكل سلاكمان فى النيويورك تايمز ٢٥ /٢٠٠٦/٣. و لن تكون الشريعة أوالقرآن هى المصدر الرئيسى للتشريع لسبب بسيط هو لأن القانون سيكون هو القرآن نفسه ، و لكن بشكل ديموقراطى لأن الاخوان المسلمين ليسوا ضد الديمقراطية !!.

هو نفسة الدكتور العريان الذى صرح بالفم المليان لقناة العربية الفضائية فى ٢٠٠٥/١/١٨: " إننا لم نغير أهدافنا و مبادئنا منذ عام ١٩٢٨ و حتى الآن " ، أما كبيرهم الذى يعلمهم السحر محمد مهدى عاكف فقد ختمها فى الشهر السادس من العام ٢٠٠٦ بصوته المسجل و المعلن فى برنامج نقطة حوار و المنشور فى مجلة روزاليوسف ، حين رفض مبدأ المواطنة بالكلية ، كقيمة أساسية للانتماء ، و أعلن أنة يفضل أن يحكم ماليزى أوأندونيسى مصر على أن يحكمها مصرى غير مسلم يضرب بجذورة فيها آلآف السنين الى الوراء قبل ان تعرف مصر لاالعرب و لاالإسلام ، و قال قولتة المأثورة التى ستعيش سنينا دون أن تنسى (طظ فى مصر و أبو مصر و اللى فى مصر).

من نصدق هنا: الإخوان بلسانهم و إعلانهم أنهم لم يتغيروا منذ تأسيس جماعتهم ، أم نصدق سعد الدين ابراهيم و هو يجملهم لنا بما لايعترفون هم به؟

هكذا تكلم سعد الدين:

ان سعدا يعلم ما نعلمة ، بدليل إعلانة توجسة و مخاوفة من فرض الاخوان و صايتهم الروحية و احتكارهم للحقيقة الإيمانية ، و فرضها فى أمور الدولة و التشريع ، لكنة ليس توجسا إزاء شئ هين ، لأننا مع الاخوان بازاء مشروع كامل يناقض القائم كلة دولة و مجتمعا و سياسة و أقتصادا ، مشروعا بديلا للدولة المعاصرة بالكلية ، و لكن توجس سعد لم يمنعه من الموافقة على و صايتهم الروحية ، و احتكارهم الحقيقة الإيمانية ، و فرضها فى أمور الدولة و التشريع ، و ذلك فى استطرادة المشروط ب(إلا) المعتادة دوما فى ختام الخطابات التجديدية الاخوانية ، و جواب الشرط هو " إلا بموافقة الأغلبية المنتخبة " ، و هى الأغلبية التى ستكون بديمقراطية سعد الدين هى الأغلبية الإخوانية بالضرورة.

ويحذو سعد حذو الاخوان القذة بالقذة و النعل حذو النعل ، فهو يشرح لنا معنى المجتمع المدنى بقولة فى (ديمقراطية النجاة): " المجتمع المدنى يضم أطرافا و جماعات و تنظيمات مختلفة المشارب و المصالح و الملل و النحل و لكنها متعايشة سلميا ، و متعاملة فيما ينفع بعضها بعضا " و لتأصيل المعنى تاريخيا ، ضرب مثلا لسبقنا كمسلمين العالم كلة فى ماضينا الإسلامى الى هذا التعريف الحديث للمجتمع المدنى فقال: "كانت صحيفة المدينة غداة الهجرة النبوية إلى يثرب هى نموذج مبكر لذلك ، حيث أرست قواعد التعايش بين المسلمين و اليهود و القبائل المختلفة عقائدهم" ، و للتدليل على هذا السبق الفريد يتابع أنه "بعد خمسة قرون تقريبا و قع ملك انكلترا عهدا مماثلا مع رجال الدين و الأمراء و اللوردات فى إنجلترا لتنظيم الحقوق و الممارسات المدنية ، و عرف باسم الماجنا كارتا ١٢١٥ " أى أن الغرب

لم يبدأ أولى خطواتة نحو المجتمع المدنى بالماجناكارتا إلا بعد سبقنا لة بخمس قرون كاملة.

الدكتور سعد يفعل فعل مصطفى محمود و زغلول النجارعندما يوفقون تزويرا بين العلم الحديث و الإسلام ، ليثبت سبق المسلمين الى اكتشاف المجتمع المدنى ، فلا نخافن إذن من الاخوان فقد كانو الى الفضل أسبق و به أعرف. لقد ضاع الوطن من ذاكرة الدكتورسعد و معه أيضا تاريخ العالم كله بعد ان بقيت فية الطائفة و حدها ، فذهب إلى ماوراء البحار ، إلى بلاد غير البلاد و إلى فيافى الحجاز و برارى نجد ليضرب للناس من هناك الأمثال لعلهم يفقهون ، و لم يجد في و طنة الذى هو مدرسة المدنية الأولى للعالم كلة ، و ثيقة و احدة يضرب منها الأمثال للناس. و لو كان مقصده الاستشهاد على و جود مفاهيم مجتمع مدنى من تجارب الإنسانية فلماذا لم يذهب إلى قوانين حامورابى الرافدية او إلى ألواح روما الإثنى عشر او لديمقراطية أثينا او الأبجدية الفينيقية و وثائق أوغاريت الشامية ، لقد ذهب الى الوثيقة الطائفية الوحيدة التى لم تعش سوى أشهراً انتهت بقتال مرير بين أطرافها و عداء تاريخى دموى استمر بينهم حتى اليوم ، لقد أصبح سعد يتحدث برطانة السلفيين و يضرب الأمثال للناس لعلهم يفقهون من تاريخ الغزاة الفاتحين المنتصرين الذين فرضوا تاريخهم على المغلوبين.

مرة أخرى نتبع سعداً فنجده عن حذو الإخوان لايحيد أنملة ، فيتبنى إعلانهم عن هدفهم الجديد بإقامة دولة الإسلاميين الديمقراطيين المباركة ، من بعد سقوط الصحوة الإسلامية فى و حل الإرهاب و الدم و الحرق و السلخ و الذبح ، بموضوع نشره فى شفاف بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٢٦ ، جعل عنوانه إعلانا مهيبا يبشر بالعهد الآتى فهو: (من الإخوان المسلمين إلى الديمقراطيين المسلمين) !!

وقد خصص هذا الموضوع للرد على فزع الأقباط مما حصدة الإخوان من مقاعد نيابية ، فقام يضع لهؤلاء الفزعين ثلاثة بدائل هى كما قالها على الترتيب:

"البديل الأول هو القهر أوالإبادة للإخوان المسلمين ، و هو تقريبا ماحدث فى الجزائر.. فتدخل جيش التحرير الجزائرى بمباركة فرنسية و ربما أمريكية لمنع و صول الإسلاميين أوحتى مشاركتهم فى السلطة. و نشبت مواجهات دموية مسلحة و راح ضحيتها مايقرب من مائتى ألف قتيل و جريح و هذا بالمناسبة هو نفس السيناريوالذى كان نظام الرئيس حافظ الأسد قد لجأ اليه عام ١٩٨١ حينما دك مدينة حماة ليبيد الاخوان المسلمين فى سورية ، و يقال أن عدد الذين قتلوا فى هذه المواجهات كان حوالى ثلاثين الفا ".

هذة صياغة إخوانية يكمن و راءها خطابهم المراوغ الخداعى ، صياغة تقلب الحقائق حتى الخبرية المجردة و المعلومة بمخاتلة زئبقية ، لان الإبادة فى الجزائر قد حدثت كما يعلم العالم كلة من السلفيين الإسلاميين ضد ضحايا مدنيين و معظمهم كتاب و باحثين و صحفيين و مثقفين و موظفين و فلاحين و عمال فقط لأنهم موظفون حكوميون ، أو لمجرد انهم متفرنجين و لا تلبس بناتهن الخمار أوالنقاب. الدكتور سعد يصور ماحدث مذبحة قام بها الجيش الجزائرى ضد السلفيين فقتل منهم مائتى الف و يشبهة بقصف حماة بالطيران السورى للقضاء على الاخوان ، و هو بالفعل مافعلة حافظ الأسد بعد أن قام الإخوان هناك بمحاولة الاستيلاء على مدرسة المدفعية بحلب بالقنابل و الرشا شات ، ليكون ماحدث فى الجزائر هو ذات ماحدث فى سوريا!!

ثم يضع للاقباط بديلة الثانى إزاء فوز الإخوان ، وهو " الانسحاب و التقوقع و الشكوى ، و تحديدا للأقباط تصفية أعمالهم فى مصر و حزم حقائبهم و الرحيل". إن المدقق فى هذا الكلام سيكتشف إيمان سعد الدين اليقينى الذى لايهتز كأنة أحد أقطاب الأخوان ، بأن الإخوان آتون إلى الحكم إتية لاريب فيها ، و على الأقباط أن يرحلوا أو أن يقبلوا ببديلة الثالث و هو حسبما قال: "الانخراط الجاد فى العمل العام" و هذا الانخراط عنده هو الحوار مع الاخوان المسلمين ، فمن شأنة أن يوضح و يبدد مخاوف الأقباط و هواجسهم ، إذ ربما تكون الصورة النمطية عن الإخوان مغلوطة و غير دقيقة. ربما تكون هذه الصورة قديمة أعتنقها الاخوان حينا من الدهر ، و لكنهم تجاوزوها و غيروا نظرتهم للآخر غير المسلم " !!!.

ان الاخوان و قناة الجزيرة و المجد و أقرأ و أخواتها و التلفاز المصرى و خطباء الجمعة فى ملايين المساجد و سعد الدين إبراهيم بعد أن يزوروا علينا الأخبار ، يطالبوننا التسليم بأن الإخوان قد تغيروا و أن مالدينا صورة نمطية مغلوطة غير دقيقة ، إنه يقرأ نياتهم و سبق له أن اتهمنى بقراءة النيات ضد الاخوان ، فقرر من جانبه أن يقرأها لصالح الإخوان دون مبرر و احد يقدمه أودليل يدعم به موقفه أو حتى لجعل قولة ذا معنى.

تعالوا نستمع إلى مرشد الإخوان الأستاذ محمد مهدى عاكف ، و هو يبارك فوز حماس (كفرع فلسطينى ضارب للإخوان) با لانتحابات و تشكيلها الحكومة

فيقول: "وإذا كانت العلاقة المميزة للانتفاضة الاولى هى طفل الحجارة, فان العلامة المميزة للانتفاضة الثانية هى الجهادى الانتحاري و ربما كان أطفال الحجارة هم أنفسهم الذين تخرجوا جهاد يين انتحاريين بعد خمسة عشر عاما من انتفاضتهم الأولى... و إن القادة الجدد هم جميعا من و لدوا بعد الاحتلال الإسرائيلى ، و نشأوا

و شبوا على أرض فلسطين و لم يغادروها ، و لم تفسدهم السلطة أو تلوثهم الأنظمة العربية الحاكمة". بالطبع ليس غريبا بالمرة أن نسمع مثل هذا الكلام من مرشد الاخوان ، لكن الحق أقول لكم هذا ليس كلام مرشد الإخوان ، لكنة كلام سعد الدين ابراهيم بالنص بشفاف بعنوان "حماس و المد الاسلامى الديمقراطي" ، بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٦...... فهل لاحظتم أى فرق بين منهج تفكير و أسلوب سعد ، و منهج تفكير و أسلوب عاكف؟ إن سعدا يحتاج إذن إلى و قفة و اضحة من كل الليبراليين العرب.

بل و يأخذ سعد أبناءنا بالجامعة الأمريكية لرحلة إلى فلسطين ليلتقوا هناك بالقادة الجدد ، و قد سجل حكاية هذا اللقاء بموضوع نشرة بشفاف في ٢٠٠٦/٤/٢٠ بعنوان (في رحاب حماس) والتعبير (في رحاب) تعبير عربي معتاد في التعامل مع المقدسات ، كالقول في رحاب الله و فى رحاب المسجد و فى رحاب مكة ، أو في رحاب الجامعة كما كنا نقول في الزمن الجميل تقديسا للعلم ، أما أن يقول في رحاب حماس فتلك و الله ثالثة الأثافي القاصمة.

يحكى الأخ سعد الدين في قاصمتة فيقول: "كان الاهتمام بحماس هو الأكثر إلحاحا ، لاختبار فرضية شائعة في دراسة الحركات ألاجتماعيه ألثوريه ، معناها أن الاقتراب من السلطة أو النجاح في اعتلاء مقاعدها ، يحول هذه الحركات من النزعة الثورية العنيفة إلى الاعتدال". إن سعد يأخذنا معه إلى مختبره العلمي ليثبت لنا أن و صول الإخوان للحكم قد حولهم من ثوريين دمويين إلى حكام معتدلين ، فماذا قدم لنا من أدله على هذا الاعتدال؟

يقول: " كان في استقبالنا الدكتور عزيز الدويك رئيس المجلس التشريعى و رحب بنا الرجل ترحيبا حارا ، و لاحظنا جميعا أن هناك ١٣ مقعدا من مقاعد المجلس عليها صور كبيرة لأعضاء المجلس الذين تم انتخابهم رغم و جودهم في السجون الإسرائيلية..خاطبنا بإنجليزية سلسله و بليغة حازت إعجاب الجميع ، و لكن إعجابهم الأشد كان بسبب الوضوح و الاتساق و قوه الحجج... و لم يتهرب من أي سؤال... و كان أهم ما جاء في حديث عزيز ألدويك: أولا أن حركه حماس هى حركه تحرير و طني فلسطينية الوجهة إسلامية الجذور ، و أن فوزها في الانتخابات حسم السجال العظيم حول التناقض بين الإسلام و الديمقراطية... و أن حكومة حماس تلتزم بمواثيقها للشعب الفلسطيني و التي على أساسها انتخبت ، و تلتزم بالمواثيق الدولية التي أقرها المجتمع الدولي".

المهم ما أن ينتهي هذا الاجتماع التاريخي ليعود سعد و طلابه إلى بيت لحم حيث يقول: "و عندما عدنا إلى بيت لحم في الضفة الغربية علمنا بالعمليه الأنتحاريه التي قام بها أحد الفلسطينيين من تنظيم الجهاد المناوئ لحماس".

تعالوا إذن نرصد أهم الادله على تحول الحركات العنيفة إلى معتدلة عندما تجلس على العرش: أولا ترحيب الدويك الحار بهم ، فلم يأتهم لابسا قناعا يخفى معالم و جهة و لا حاملا لرشاش يطلقة في الهواء و لا مكشرا عن أنيابه مثل بقية المتطرفين ، و هذه علامة أولى ،.أما العلامة الثانية فهي أنه خاطبهم بإنجليزية سلسة و هى لاشك علامة حداثة و تمدن و تحضر حتى حازت بلاغتة الإنجليزية إعجاب الجميع.

و ينبهنا إلى ملاحظة الجميع لصور المعتقلين المنتخبين على كراسيها شاخصة بالمجلس التشريعى ؟! فهل يرى عالم الاجتماع أن عنترية إثبات الوجود للمعتقلين بانتخابهم و هم فى المعتقلات ، و وضع صورهم في كراسيها هو تطور و تقدم و اعتدال؟ ... كيف ستصوت هذه الصور الشاخصة الصامتة و كيف سيقدمون طلبات الإحاطة و كيف سيناقشون التشريعات ، و فى النهاية ماهو مقدار الصدق في القرار التشريعى؟

حتى الآن لم يقدم سعد شيئا يشير إلى حسم السجال العقيم حول التناقض بين الإسلام و الديمقراطية ، و لا إلى اعتدال حماس ، فرئيس المجلس كعادة الإخوان يستخدم لغتين ، لغة تتحدث عن و طن هو فلسطين بينما و ثائق الاخوان كلها المعلنة للجميع لا تعترف بشئ إسمه الوطن ، و ضمن هذة الوثائق و ثيقة حماس التي دخلت بموجبها الانتخابات.

أيضا يقدم لنا اللغتين في التزام الدويك و حماس بميثاقها مع التزامها في الوقت نفسه بالمواثيق التي اقرها المجتمع الدولي !! فهلا يعلم الدكتور سعد أن ميثاق حماس لايلتقى بالمرة مع المواثيق الدولية؟

بالطبع يعلم لكنه يتكلم بلسان الاخوان ، فميثاق حماس يعمد إلى قرار الخليفة عمر بن الخطاب منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا ، عندما طلب العرب الفاتحون من الخليفة تقسيم الأرض بينهم بما عليها من ثروات أو بشر كما تقسم غنيمة العسكر حسب الشريعة ، فقرر عمر أن يجعلها ملكا للعرب جميعا في شكل (وقف) تعود منافعه على الأجيال التالية لأبناء العرب الفاتحين لينال الأحفاد نصيبهم من غنيمة الأجداد. و ميثاق حماس يقول: إن فلسطين كلها من النهر إلى البحر و قف ديني للمسلمين عبر الأجيال حتى يوم القيامة. لكن حتى يكون الميثاق صادقا كان لابد

على حماس أن تكون أكثر التزاما بالإيمان الاسلامى ، فهذا الحق للعرب الفاتحين و حدهم ، لذلك على حماس إن أرادت الإخلاص للدين ، أن ترسل ضريبة الرؤوس خراجا عن مسلميها ، و الجزية خراجا عن مسيحيي فلسطين ، و ان يرسلوا نساءهم لأصحاب الحق الشرعي في ركوبهن في جزيرة العرب ، بل أن حماس بكل رجالها حسب القرار العمرى إنما هم فيئ ضمن الفييء المستحق لعرب الحجاز و حدهم.

إن عالم الاجتماع لم يرى مطلقا حجم التناقض بين الحديث عن فلسطين كوقف على العرب الفاتحين (يزور الحماسيون تاريخنا المقدس و يعممون الوقف على كل المسلمين) ، و بين الحديث عن فلسطين كوطن ، و بين مفهوم الوقف و مفهوم المواطنة! أم ضاعت البوصلة من سعد حتى راح يروج لالتزام حماس بالمواثيق الدولية ، و هى تطلب فلسطين من النهر إلى البحر!

الم يقرا سعد البند الميثاقي الخماسي الذى يؤكد أن ألمشكله الفلسطينية لا حل لها الا بالفريضة الاسلاميه على كل مسلم فريضة الجهاد؟ و كيف يرى حماس تعترف بالمواثيق الدولية و يروج لذلك ، و تؤمن بميثاقها في الوقت ذاته ، و هو الميثاق القائل في بنوده أن الأمم المتحدة و مواثيقها هى صناعه لمؤامرة يهودية محبوكة هدفها تدمير القيم في بلادنا ليسهل لهم السيطرة علينا و على العالم.

ألم يقرأ سعد في ميثاق حماس حديث شجر الغرقد الذى سينادى المسلمين يوم المذبحة الكبرى لليهود: و رائى يهودي يا مسلم تعالى فأقتله؟ ألم يقرأ سعد إصرار ميثاق حماس على ربط القضية الفلسطينية بكراهية قديمة حدثت في بلاد الحجاز منذ أربعه عشر قرنا ، باعتبارها قضيه دينيه لا و طنيه ، و ضرورة تنشئه النشء المسلم على هذه الكراهية؟ ألا يرى سعد أن الأمم المتحدة و العالم كله لن يفهمنا عندما نتحدث هذه اللغة و لن يرى فينا سوى مجموعه إرهابيين؟

ألا يرى سعد أن ذلك ضياع لقضية و طنيه شريفة ، كان يكفيها أن تطرح تحت مظله المواطنة ليشارك فيها المسيحي الفلسطيني أخيه المسلم الفلسطيني و كل الملل و النحل ، و أن تجد من يفهمها و يتعاطف معها و يدعمها في كل بلاد الدنيا ، لأنها كلها لأهلها أوطانا و ليست أديانا.

لقد أراد الأخوان من سعد في السجن (حسب كلامه) أن يعلمهم كيف يتحدثون مع العالم بلغه هذا العالم لكسب تأييده و تعاطفه معهم ، فإذ به يرطن رطانتهم و يروج لأشد أفكارهم رجعية و انغلاقا و دهاء و إزدواجيه و مخاتلة. يبدو أن التأسلم قادر على محو كل ما قبله ، كما الإسلام يجب ما قبله.

ويبدو أن العملية الانتحارية التي قام بها الجهاد أفسدت على سعد ما أراد ترسيخه في أذهان طلابه ، فقام يصف تنظيم الجهاد بأنه مناوئ لحماس؟ منذ متى؟ و كيف؟ و لماذا؟

أم أن الجهاد يمارس العنف حتى يصل إلى السلطة بدوره و يجلس على العرش معتدلا، فيعتدل؟

و هل كي نصل إلى السلطة يجب أن نمارس العنف أولا؟

ثم كان خير خواتيم سعد بموضوعه المنشور بشفاف بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٣ تحت عنوان (الاستبداد و اضطهاد المعتدلين.. عصام العريان نموذجا).

وفى هذا الموضوع يظهر عن سعد كثير مما أخفاه عنا فى علاقته بالإخوان ، و على امتداد ربع قرن مضى

يقول سعد الدين: " أصبحت مقتنعا أن نظام مبارك لا يطيق الناشطين المعتدلين.. حتى لا يظهر في الساحة سوى المتشددين " ، و هو كلام نبصم عليه بالعشرة ، لكن ما نرفض الموافقة عليه أن يكون نموذج هؤلاء المعتدلين هو القطب الإخوانى الدكتورعصام العريان! الذى اعتقله الأمن المصري فكتب سعد موضوعه يدافع عن العريان بالروح و بالقلم ، يقول سعد: " لقد عرفت عصام العريان على امتداد الربع القرن الماضى ، و قد تزامنت عودتي من الخارج ١٩٧٥ مع سنوات نشاطه الطلابي في كليه الطب. و مع اهتماماتي البحثية بالحركة الإسلامية ، كان طبيعيا أن ألقاه ، حيث كان هو أحد رموزها البازغة ، و فى أهم فصائلها النشطة و هى جماعه الاخوان المسلمين. و كانت الجماعة قد أعلنت إقلاعها عن العنف بعد صفقه غير معلنه مع الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٧٢ ، و لكن قليلون هم الذين صدقوا هذا الإعلان في ذلك الوقت.. و فى كل مجهوداتي البحثية كان عصام العريان ندا و محاورا من الطراز الأول.. و رغم أني أختلف معه أيديولوجيا ، إلا أن احترما متبادلا و ألفه إنسانيه دافئة نمت بيننا على مر السنين. ثم تزاملنا في العمل النقابي في تلك السنوات من ١٩٨٦ – ١٩٩٦.. و تلازمنا في سجون مبارك.. و كثيرا ما تبادلنا حكايات و طرائف و الام السجن في لقاءتنا بعد الخروج.. و فى السنتين الأخيرتين جمعني بعصام العريان مؤتمران هامان ، الأول في ابريل ٢٠٠١.. و كان استكمالا لحواري في السجن مع الفصائل الإسلاميه.. و نظمت لهم حوارا استمر يوما كاملا مع عدد من الدبلوماسيين الغربيين في القاهرة و شارك عصام العريان ، بل كان أحد نجوم الحوار ، و أنبهر به الغربيين.. أما المناسبة الأخيرة فقد كانت في ديسمبر ٢٠٠٤ في الأردن في مؤتمر نظمه مركز

دراسات الإسلام و الديموقراطية ، و شارك فيه أمريكيون و عرب مسلمين و غير مسلمين.. و طالب المنظمون من عصام العريان و منى أن نتقمص أدوارا أساسيه معاكسه تماما لأدوارنا الفعلية في الحياة ألعامه. و من ذلك أن يقدم هو حججا مقنعه ضد تطبيق الشريعة أو إقامة الدولة الدينيه ، و المدهش أن عصام قام بهذا الدور خير قيام.. و على إمداد ٢٥ عاما لم أسمع عصام العريان يدعو إلى العنف أو يحض على كراهية الآخر غير المسلم أو المختلف معه في الرأي. كان عصام طالبا نابها في الطب و كان نقابيا لامعا و خاض و فاز في انتخبات برلمانيه ، و كان أداؤه في مجلس الشعب نموذجيا بشهادة زملائه من نواب الأحزاب الأخرى.. مبارك ، إرفع يدك عن عصام العريان".

من نافلة القول أننا ضد أى اعتقالات و محكمات لا تتم بالطريق القانوني المدنى الطبيعي ، ضد قوانين الطوارئ و الاعتقالات التي تواظب أنظمتنا الاستبدادية على ممارستها ، سواء كان المعتقل عصام العريان أو سعد الدين ابراهيم أو أيمن الظواهري ، و نطالب مع سعد الدين برفع يد النظام عن جميع المواطنين مسلمين و أقباط و نشطاء حقوق و حريات. لكن سعدا عندما يذكرنا بصفقه السادات مع الإخوان أيام كان الدكتور العريان طالبا ناشطا إسلاميا ، فهو إنما يذكرنا بأيام طعمها كالحنظل و لونها اشد سوادا من الليل البهيم ، أيام تسلطن التيار الإسلامى بالجامعات ، و ضرب الطلبة أساتذتهم الليبراللين بالأحذيه في قاعات المحاضرات ، يذكرنا بأيام مهاجمه التيار الإسلامى للحفلات الجامعية المعتادة ، و تدميرهم الكراسي و آلات الموسيقى و الميكرفونات على رؤوس العازفين و الحضور ، أيام كانوا يشوهون و جوه السافرات بماء النار ، أيام منعوا الحفلات ألمسرحيه بالقوة ، أيام الزموا الأقباط المذلة و المسكنة و الصغار ، برعاية شخصيه من الرئيس المؤمن ، و تحت سمع و بصر البوليس المصري ، و أثاروا الفتن الطائفية من السلوم و العريش إلى أسوان و عنيبة.

إن الدكتور سعد يفخر بزمالته لناشط إسلامى كان نشاطه في الزمن الأغبر ، حتى قتلوا الرجل الذى أفرج عنهم و ترك لهم مصر سداحا مداحا يوم نصره ، و لم يسلم من شر نشاطهم الإيمانى أحد ، لا عدو و لا حبيب.

ثم يذكرنا الدكتور سعد الدين مره أخرى بأيام استيلاء الاخوان على النقابات ، عندما نشط الدكتور عصام العريان في نقابه الأطباء بعد تخرجه ، حيث تم التحول عن قسم أبقراط أبو الطب ، إلى قسم لا علاقة له بالطب بل بالطائفة و حدها ، رغم أن بادج النقابة يحمل اسم (النقابة العامة لأطباء مصر) أي إنها لكل الأطباء مسلمين و غير مسلمين ، فإن العريان و إخوانه عندما نشطوا بالنقابة جعلوا القسم يبدأ بالبسملة

الاسلاميه (بسم الله الرحمن الرحيم) ، رغما أن قسما كهذا لا يفتتح هكذا ، فكي تبدأ بالبسملة فذلك يعنى أنك ستقول كلاما مقدسا ، و يا ليت الغرض كان تقديس مهنه الطب ، بل كان هو الأسلمه الإجباريه لكل طبيب غير مسلم عندما يؤدى القسم مع عدم اعتراف رسمي بوجود أطباء غير مسلمين يزيد عددهم عن ثلث أطباء النقابة. لأنه لو كان الغرض من البسملة هو تقديس هذه المهنة الجليلة و ممارستها بشرف يليق بها ، لتم إعطاء الطبيب المسيحي نفس الفرصه ليقسم بمقدسه هو الذى يؤمن به.

ثم بعد البسملة صياغة إسلامية كاملة المفردات مبنى و معنى ، مثل "تعاون الهيئة الطبية على البر و التقوى ". و من يومها لا يقسم الأطباء على شرف المهنة بضمير شخصي نقى بين الطبيب و ربة ، إنما هم يقسمون على البر و التقوى ، فما للبر و الطب؟ و ما للتقوى و ما للمرض و العلاج؟ و من ثم تمت عملية استتبا ع الأطباء المسيحيين جبرا للأطباء المسلمين السادة. و من باب زيادة النكاية فيهم يقول البند الأخير من القسم: "أن تكون حياتي مصداقا لايمانى في سرى و علانيتى ، نقية مما يشينها إتجاة الله و رسوله و المؤمنين".

هذا كلام يجوز أن يقال في مسجد السيدة نفيسة أو السيدة زينب إثباتا لإخلاص المسلم لرب الإسلام و رسوله محمد بالتحديد و التدقيق و بالذات ، فالقسم لم يقل "و رسله" من باب اعتراف يوجبه قانون الإيمان الاسلامى نفسه ، و من باب الاعتراف بديانات الآخرين و لو من طرف اللسان ، لكنهم أرادوا قسما طائفيا عنصريا خالصا استتبا عا لغيرهم ، سياديا أنفا متكبرا فظا متعاليا ، فأي زمن يذكرنا به الدكتور سعد الدين ، و أي نشاط يضرب لنا به الأمثال للاعتدال عن صديقه الدافئ الأليف و خله الوفي عصام العريان؟ و من يومها مازال الطبيب المسيحي يؤدى قسم النقابة على هذا الحال ، فطوبى لأطباء مصر الأقباط بعدد أسماء ذات الله الحسنى ، و يا لوعة الكبد عليك يا و طن يوم يفوز بحكمك العريان و إخوانه.

أما أن يقوم الدكتور العريان بعمل تمثيلي في مؤتمر الأردن ، و أن يقدم فيه حججا مقنعه ضد تطبيق الشريعة أو أقامة الدولة الدينية ، و ان يبرع في ذلك براعة أبهرت الدكتور سعد و الأجانب ، فهو ما يعنى و جوب أن تستريب دوما في الإخوان لقدرتهم التمثيلية ضد ما يعتقدون حقا و على عكس ما يبطنون؟ أم أن سعدا أرادنا أن نصدق تمثيل الدكتور ؟إن هذا الإيمان الدافق من سعد الدين بصديقة الحميم العريان , يدفعنا دفعا ليس إلى معرفة شخصيه العريان و مدى لطافتة و ظرفه و دفئة كما حدثنا عنة خلة سعد الدين ، إنما لمعرفة ما يعتقد العريان نفسة و ما يعلنة بلسانة هو لا بلسان سعد.

هكذا يتكلم العريان:

قدم سعد العريان نموذجا للاعتدال و لم يقدم لنا دليلا و احدا على هذا الاعتدال الذى زعمه , غير شهادتة هو و حدة و هى غير مقبولة كدليل ، و من ثم سأعرض هنا لاختيارات عشوائية لكلام العريان , بحثا عن اعتدال العريان و الذى يشهد لة رجل مهم من رجالات المجتمع المدنى فى مصر.

بين يدي الآن مقال كتبة العريان بالوفد المصرية في ٢٠٠٥/٤/٢ , إضافة إلى حوار له مع شبكة شفاف بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٤.

وضع العريان لموضوعه بالوفد عنوانا هو "مخاوف مشروعة و هواجس لا مبرر لها " ، قاصدا إقرار المتخوفين من أقباط أو ليبراليين على تخوفهم من الاخوان المسلمين ، لكنه أيضا قصد إلى تبديد تلك المخاوف المشروعة لأنها ليست أكثر من هواجس لا مبرر لها.

يقول العريان: "إن الاخوان قد أعلنوا على لسان مرشدهم الأولوية قبل تعديل الدستور لإطلاق الحريات ، بحيث يكون لدينا مجلس شعبي حقيقي يعبر عن الإرادة الشعبية يتم انتخابه في انتخابات حرة نزيهة" و المهم هو أن هذا المجلس المنتخب هو من سيقوم بتعديل الدستور أو استبداله بدستور جديد.

بطول موضوعه لم يقترب الدكتور عصام من الجوانب الحقوقية للديمقراطية ، فقد حدثنا عن ضرورة عدم تعديل الدستور كخطوة أولى ، تتبعها خطوة ثانية هى إطلاق الحريات لانتخاب مجلس تشريعي تكون مهمته هى صياغة الدستور الجديد. لأنه يعلم كيف تم محو و عى المواطنين فلم يبق عندهم شئ يعلمونه عن الدنيا سوى الإسلام و شريعته ، و هو الوعي الذى سينتخب دعاة الدولة الدينية و الشرعية ، الذين سيقومون بعد ذلك بإعادة صياغة الدستور ، و يا خراب بيتك يا مصر من بعدها.

لماذا لا يخطر للدكتور و هو يتحدث عن الصندوق و الحريات أن يتحدث عن ما هى الحريات المقصودة إضافة لصندوق الاقتراع ، فهلا طمأننا على مساواة المرأة للرجل في الميراث و الشهادة و تولى المناصب بما فيها منصب الإمامة العظمى؟ و هلا طمأننا عن و ضع الأقباط في ظل دوله الشريعة المنتظرة؟ و هل سيتم تحديث عهد ألذمه العمرى أم سيطبق عليهم مستحدثات إسلاميه لا نعرفها؟

الاخوان و عريانهم يقعون في مشكله بين ما يضمرون ليتقوا منا تقاه ، و بين ما يعلنون تقيه أيضا باللسان لا تمس القلب ، فهم يقدمون لنا أنفسهم بحسبانهم دعاه

الإسلام أو هم الإسلام نفسه ، ثم تجدهم يحدثوننا بمفاهيم غريبة عن الإسلام: كالمجلس التشريعى و الحريات و الاراده الشعبية ، فهلا أخبرنا الدكتور العريان أين نجد في الإسلام أو تاريخه شيئا مما جاء على لسانه عن المجلس المنتخب انتخابات حره نزيهة ، و أين نجد الإراده الشعبية و فى أى متن أو حاشية ، و أين يمكنا العثورعلى مفهوم الحرية (أللهم إلا مفهوم الحر بالنسبة للعبد و هو فقط ما تعرفه الثقافة الاسلاميه عن معنى الحرية). و هل سبق و جرت أى انتخابات في تاريخ الخلافه الاسلاميه المستبدة منذ فجرها و حتى سقوطها عبر أربعه عشر قرنا من الظلم و انعدام الرحمة و الاستبداد الدموي. على العريان أن يختار هنا ما بين الإسلام و ما بين الحقوق العلمانية كى نستطيع أن نفهمه و نثمن ما يقول.

بعد أن يطالب الدكتور العريان في مقاله بالوفد بحريا ت تكفل مجلس تشريعي يعدل الدستور أو يجدده أو يستبدله ، يعود في المقال نفسه ليطالب سلفا بتعديل مقدما لبعض مواد الدستور الحالى "المواد المتعلقة بالرئيس ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٤ و أن الاخوان مع هذا التعديل الحقيقي"؟ حيرونا إخواننا الإخوان ، مرة هم مع بقاء الدستور حتى يتم تعديله على أيديهم لا سمح الله ، و مرة هم مع تعديل بعض بنوده الحالية و الخاصة برئيس الجمهورية و مده حكمه و سلطاته.

وعلى شرح العريان نتسأل: متى عرف الإسلام و إخوانه مسألة تحديد مده و لاية الرئيس أو الإمام أو الخليفة؟ إن الاخوان يزعمون إنهم الإسلام ثم يطلبون شأنا ليس من الإسلام و لا يوجد له شبيه في تاريخ الإسلام ، إن ما إن ما قال العريان هو بمنطق و فقة الإسلام السنى الاخوانى هو كبيرة من الكبائر ألمثيره للفتن ، و من ثم يجب ذبح العريان طبقا لنصوص الشريعة الإسلامية ، أو جلده على ملأ تعزيرا. مره أخرى هذه المتناقضات لا يحلها إلا أن يختارالعريان و الاخوان ما بين الإسلام و لغته و مفاهيمه و نظمه ، و ما بين الديموقراطية المدنية الحقوقية العلمانية ، و إلا ظلت هواجسنا كوابيسا مستمرة. فإما أن ينخرطوا في العملية الديموقراطية دون تدليك غرائز التدين عند الشارع المسلوب الوعي ، و أن يكون هذا الانخراط بمبادئ مدنيه مائه با لمائه لا علاقة لها بأي دين أو أي مقدسات ، و إما أن يظلوا إخونا و لا يحدثوننا برطانة رفضوها طوال تاريخهم ، إنهم يرطنون فقط ، حتى يصلوا بها انتهازيا لصندوق الاقتراع و حده ، إلى المجلس ثم الكرسي الأعظم ، ثم استبدال الدستور (بالقرآن دستورنا). لإقامه الخلافة المقبورة مرة أخرى ، لا أقامها الله و لا ردها.

ويحتج الدكتور العريان بشده على قانون الطوارئ ، و كذلك نحن ، لكن بشرط أن يكون احتجاجا بمرجعيه مدنيه لا إسلامية ، لأن القول بمرجعية دينية هو كذب

صريح على الناس ، و افتراء على تاريخ الإسلام الذى لم يعرف بطوله و عرضه أى قانون بالمرة سوى قانون الطوارئ الدائمة منذ حكم أبو بكر بن أبى قحافه و حتى اليوم. فلماذا يحتج الاخوان على قانون إسلامى أصيل ١٠٠% - أصالة و عراقة و خصوصية؟ أم أن ذلك يجوز لكم و لا يجوز لغيركم ، أو بلغة سعد الدين ابراهيم: حلال لهم و حرام على غيرهم؟

لماذا لم يعلن الاخوان إدانتهم لهذه الطوارئ الطويلة البغيضة في تاريخ الدولة الاسلاميه حتى نصدق فعلا أن الاخوان ضد مثل هذه القوانين؟

أم ينادون بما لا يؤمنون؟ إن الاخوان داخل جماعتهم لا يعرفون حتى الآن نظام الانتخاب ، و يظل رئيسهم / مرشدهم / رئيسا مدى الحياة حتى يصيبه الخرف قياسا على نظام الخلافة الاسلاميه. إن الاخوان بهذا الشكل هم مره دكتور جيكل و مره مستر هايد.

ثم يؤكد العريان " أن مبادرة الإخوان للإصلاح هى برنامج الاخوان لبناء نهضة مصريه ترتكز على مرجعيه إسلاميه ، و تسعى إلى تحقيق غايات الإسلام العليا في العدل و الحرية و المساواة و الشورى و الكرامة الانسانيه"

فهلا سال الدكتور سعد الدين صديقه في مسألة النهضة المصرية بينما كل الاخوان ضد مفهوم المواطنه و الوطن و بخاصة مصر ، و آخرها (طظ في مصر) شعار الاخوان الجديد الذى أطلقه كبيرهم الذى يعلمهم السحر؟ و كيف تكون مصريه و تقوم على مرجعيه إسلاميه ، و أساتذتهم الكبار لا يعترفون بوطن و لا برايه قوميه؟

و هلا سأل سعد الدين صديقه الدافئ و حميمة المعتدل عن غايات المسيحية العليا ، و غايات الشيعة العليا ، و غايات العلمانيين العليا ، و غايات الملحدين العليا. لإن لكل فريق قيما خاصة يراها هى العليا ، لذلك لابد أن تصبح جميعا في الفعل الديموقراطي نسبية تماما و ليست عليا ، و لا يجرؤ على القول بغايات طائفية عليا في الفعل الديموقراطي أى شخص يفهم بسائط الديموقراطية الابتدائية. ثم ألا يرى سعد معنا أن القول بغايات طائفية دينيه عليا هى هدف الفعل الديموقراطي ، هو انحياز لفئه من فئات المجتمع ، و لدين من أديان المجتمع ، يخلق بها ميزه و فضل لهذة الفئة على باقي مكونات المجتمع ، و هو ما لا علاقة له بالديموقراطية ، لأنه يؤدى إلى الانحياز الطائفي و من ثم إلى التباغض و التفكك الاجتماعي ، مع عدم الولاء للوطن إزاء الولاء للطائفة.

نذهب مع العريان إلى حواره مع شفاف حيث يجيب عن السؤال: "ما هى الديموقراطية من و جهه نظر الأخوان المسلمين ؟" بقوله: " إن الديموقراطية

لايمكن فصلها عن ثقافة الشعب ، و بالتالي فالأبعاد الفلسفية للديموقراطية تخضع لطبيعه المجتمع الذى تنشأ فيه..

فهناك تنوع مختلف من الديموقراطية ، لكن هذه الديموقراطيات تتفق على أسس هامه و هى ما نتفق عليها نحن الاخوان ، و هى أن الشعب من حقه أن يولى الحاكم و أن يحاسبه و أن يعزله لفترات محدده ، و فصل السلطات الثلاث. و أن رأى الأمه محترم في انتخابات دوريه ، و حقوق الأفراد مكفوله بحكم الدستور ".

العريان يرى أن الديموقراطية يجب أن تخضع لثقافتنا التي لم يشر إلى ماهيتها ، و بالطبع المقصود هنا هو الإسلام لأن الاخوان لا يرون في المجتمع بشرا آخرين لهم ثقافة و دين مختلف ، ثم يتحدث عن كون الديموقراطية هى توليه الحاكم و محاسبته و عزله لفترات محدودة (وحكاية عزله لفترات محدودة إجتهاد عرياني ليس له سوابق فقهيه ، و المقصد في النهاية أن ديموقراطيتنا الإسلامية تولى الحاكم مدى الحياة ، و لم يحدث أن تم عزل حاكم إلا بالسم أو السيف) أما فصل السلطات فقد أكد محمد حبيب و كيل الاخوان للشرق الأوسط في ٢٠٠٥/١١/٢٧ أن هذا الفصل بين السلطات و اختصاصاتها لابد أن يستهدى بالشريعة الاسلاميه و لتأكيد ما قلنا نقرأ استطراد عريا ن الشارح" و لكن نضيف عليها أى على الديمقراطية _ الإسلام..بمعنى أن الديموقراطية في المجتمعات الاسلاميه تخضع لثقافة هذه المجتمعات الإسلاميه.. لأن هناك سقفا لهذا المجتمع و ثقافته و شريعته الاسلاميه التي يحتكم اليها....لأنها شريعة محترمه"!

أو ليست بقيه الشرائع الدينيه محترمه في نظر العريان؟ فلماذا الاسلاميه و حدها يكون لها السيادة؟ ثم أليست شريعة القانون المدنى ألمقدسه في بلاد الحريات شريعة محترمه إختارها الناس و ارتضوها؟ يجيبنا العريان: " لابد من و جود سقف لما هو الحلال و الحرام في الدين و ما هو الثواب و الخطأ في القانون " الرجل يلف و يدور ليقول في النهاية إن الصواب في القانون هو الحلال إسلاميا و إن الخطأ في القانون هو الحرام إسلاميا.

ثم يتطوع العريان بطمأنة الأقباط بوعود لفظيه من قبيل قوله الواثق من قيام دولتهم الاسلاميه: "فإن ضمان حقوق الأقباط في ظل الإسلام أكثر من عدم الالتزام بالإسلام ، لان الإسلام يجرم الاضطهاد لمن هو مخالف في الدين"

وبغض النظر عن صدق الرجل مع نفسه و مع إيمانه و تقواه ، و أن الإسلام لا يضطهد المخالف بل يطلب منه أحد ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتل ، و بغض النظر عن حديثه المرسل عن العدل و الحرية و المساواه و الكرامة الإنسانيه التي

لم تتحقق في تاريخ المسلمين و لا حتى زمن الراشدين ، فإن الصحفى المحاور يسأله: "و لكن في حال تطبيق الشريعة الاسلاميه سيحدث خلاف بين الأقباط و المسلمين" ، فيجيب العريان: "بالطبع ستحدث خلافات بينهم.. و الحل هو سيادة التسامح و قبول الأخر" ، و لا تعلم من سيتسامح مع من هنا؟ السيد المسلم أم الذمي القبطي ، و من المطلوب منه قبول الآخر في ظل تطبيق الشريعة الاسلاميه ، بل أن العريان يحسد الأقباط على حظوظهم و تميزهم بقوله: "الكنائس الآن تقوم بنشاط كبير أما المساجد فلا تستطيع".

هذا الرجل كذوب و شرير لأنه يقول شيئا و الواقع كله أمام الدنيا كلها ينطق بالعكس تماما ، أما السر في هذه الحرية التي تنالها الكنائس و تستحق عليها الحسد فهو "أن امن الدوله لا يستطيع التدخل في شئون الكنائس"!.... روح يا شيخ منك لله ! أشوف فيكم يوم !.

المهم أن استمرار الحوار يفصح عن ما هو مخفي و مستور ، فيسأله الصحفي: "إذن أنت توافق على تأسيس حزب قبطي من الممكن أن يتولى السلطة و يحكم المسلمين" ، فيجيب الناشط المعتدل صديق رجل الاجتماع المعتدل: "إن هذا افتراض خيالي في بلد مثل مصر ، لأنه في ظل الدستور و القانون سيكون ذلك ضربا من الخيال ، فإذا تولى حزب اسلامى السلطة في ظل دستور يحكم بمقتضى الشريعة ، فكيف يأتي بعده حزب قبطي؟"

أما المرأة فلم يتعرض لها العريان و لا كل الاخوان حتى الآن خاصة ما تعلق بحقوقها ، و إن تكرموا عليها و سمحوا لها با لمشاركها في الانتخاب و الترشيح و تولى الوظائف عدا منصب الامامه العظمى.

وإذا كان سعد الدين يستبشر خيرا بالإسلاميين الديموقراطيين و يرى إنه ممكن أن يكونوا كالنموذج التركي الذى و صل فيه الإسلاميون إلى السلطة و لم ينقلبوا على الديموقراطية ، فإن صديقه و حميمة العريان يرد على حبيبة سعد الدين قائلا في الحوار نفسه: " تركيا اعترفت أنها دوله غير اسلاميه و آخر تصريح لرئيس الوزراء قال فيه أن تركيا دوله علمانية و دوله اوربيه أكثر منها اسلاميه " ، إن العريان يا دكتور سعد يرفض نموذجك الذى اقترحته للإخوان و يراه نموذجا علمانيا أوروبيا غير إسلامى ، فهلا عرضت عليهم نموذج طالبان مثلا؟

بالفرض الحسن مع الظن الحسن بأن سعد الدين ابراهيم لم يكن طوال الربع قرن الماضى يحمل في داخله شيخا سلفيا ، و أن ذلك قد جد عليه بعد حبسه الظالم مع الاخوان ، فإن جريمه النظام في مصر أنه حول سعدا إلى مسلم سلفي ، إنه إبداع

حكومتنا الرشيدة الفريد التي بلا نظير ، إبداع حول شعبا بكاملة من شعب مقبل على الحياة منتج مبهج مرح فنان مخلص لوطنه ، إلى شعب متجهم مكتئب ضد كل ما هو جميل في الحياة ، شعب طائفي عنصري قاسى.

إن ما فعله النظام المصري بسعد الدين هو تماما ما فعله رئيس العصابة بضابط مكافحه المخدرات الشريف ، الذى قاوم الإغراء ت و الرشاوى و استمر في مطارده العصابة ، فما كان من (البيج بوس) سوى أن اختطفه و حبسه ، و ظل يحقنه بالمخدر يوميا حتى تحول الضابط الشريف إلى مدمن لا خطر منه بعد. لقد حقنوا سعدا بأفيون الشعوب.

خسارة يا سعد الدين .. خسارة يا مصر.

حوار سامح سامي مع سيد القمني

لا اعرف لماذا أتذكر كلمات الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه:

"إنني أعرف نصيبي ، سوف يرتبط اسمي ذات يوم بشئ هائل مرعب ، بأزمة لم تعرف الأرض نظيرا لها ، بقرار حاسم ومضاد لكل ما آمن به الناس حتى الآن ولكل ما تطلبوه وما قدّسوه.. سوف يرتبط بقلب جميع القيم". وهذه هي الصيغة التي وضعتها لفصل تعيشه البشرية في أقصي درجات تأملها لذاتها. وهو الفصل الذي تحول في كياني إلى لحم وروح.."

حين يأتي إلى ذهني اسم الدكتور سيد القمني فهو يذكرني بنيتشه مع الاختلاف ، الزماني والمكاني ، بينهما. وهل لان الدكتور سيد القمني يذكرني بفكر نيتشه- مع مراعاة الفروق بينهما والاتجاهات- في قلب جميع القيم المطلقة المتوارثة ويعيد قراءتها مرة أخرى ولا يتراجع- وهذا سبب معاركه الفكرية التي تتحول لعداء شديد تكفيري- عن إصدار حكم بوقفها وتغييرها بل ونصفها... لا اعرف فالدكتور سيد القمني مفكر "استثنائي" جاء وعاش بيننا ونحن لا نعلم قيمته الآن**!**. كنت أتمنى أن أتحدث إليه في ظروف ملائمة لحالته الصحية وظروفه المرضية.

*"إن مشروعه الفكري خارج الاجتهاد؛ لأنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد التي تجمع الأمة مما يستفز مشاعر المسلمين. وأن هذا الاستفزاز يحدث في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدواً" هذا كلام الدكتور **محمد عمارة** عنك... تعليقك؟

**إن مثل هؤلاء السادة الذين يمثلهم الدكتور محمد عمارة يفترضون أن مفاهيمهم للمفردات والمعاني هي المفاهيم الواضحات التي يتفق حولها مختلف الفرقاء.
متصورين سامحهم الله أن طريقتهم في التفكير هي الطريقة المعيارية للجميع. وكان بإمكاننا أن نقبل طريقتهم كمعيار لكنهم للأسف لا ينطلقون من كون مفاهيمهم هي المعيار بحسبانها قد تم التوافق على مقاصدها بين الجميع عبر جدل حضاري طويل. لكن لأنها مفاهيمهم وكفى بذلك سببا لصلاحيتها المعيارية ، مع الأسباب المضمرة لصحتها المستندة إلى الإسلام بحجة الدفاع عنه ضد أعدائه ، فتكسب المفاهيم شرفين: شرف الدفاع عن الدين ، وشرف أنها مستمدة من هذا الدين. كما لو كان من المتفق عليه انه كي يكون المفهوم معياريا فيجب أن يستند إلى الدين أو تكون مهمته صياغة مفردات دفاعية عن الدين ، بينما المفاهيم والمفردات والمقاصد التي يستخدمونها ليست معيارية بإطلاق ، ونموذجها الواضح أمامنا في كلام الدكتور عمارة.

فهو يرى أن مشروعي الفكري خارج الاجتهاد ، متصورا أن الجميع قد اتفق على أن الاجتهاد مشروط بالشروط التي كبلته بنهاية القرن الرابع الهجري ، فتحول الاجتهاد إلى إعادة تفسير المفسَّر وحرث المحروث طوال عصور خضعت لهذه الشروط الفقهية اللاإلهية أو اللاقدسية. واكتسبت القدسية عبر حلف الفقيه والسلطات ، وما يملكه هذا الحلف من قدرات السلطة وتوجيه العقل الجمعي. بينما الاجتهاد المطلوب اليوم يجب أن يبدأ من تكسير شروط إجتهاد كانت تلائم زمنها وعصرها ، وأصبحت اليوم قيودَ على العقل الإسلامي أودت به إلى ما هو فيه الآن.

وهكذا يبدأ الأستاذ بمفهوم يحمل عنده معنىً وعند غيره معنىً آخر ليلزم الجميع بمفهومه كما لو كان هو المعيار والمقياس لكل الأفكار والاستنتاجات الممكنة.

أما لماذا هو خارج الاجتهاد؟ فالإجابة بدورها إجابة اتهامية ومراوغة في آن معاً. ولا ترد على شيء ولا تفند شيئاً ولا تقدم حجة أمام حجة ، فالتهمة الجاهزة التي ألجمت الجميع عبر العصور يجب أن تكون فعّالة اليوم. **ومن غير الواضح لسيادته أن التهمة ليست حجة إنما هي إرهاب فصيح صريح..** ألا تراه يقول:" إنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد"؟!

كما لوكان الطعن هدفاً في حد ذاته فيما أقدّمه للناس ، وهي تهمة ارفضها تماماً ؛ لاني احترم كل الأديان وأوقع على حق كل صاحب اعتقاد ، أو كل من لا يعتقد ، في حقه فيما يراه ويطمئن إليه ضميره ، وانه ليس مهمتي"الطعن"؛ لان هذا الطعن لابد أن يكون له هدفه... و إلا لماذا الطعن في دين المسلمين؟

إذاً ، لابد أن وراء الطعن ما وراءه ، حلف المؤامرة التاريخية ضد الإسلام والمسلمين. وبالطبع سيكون العبد الفقير إلى الله أحد أيدي المؤامرة الخفية.. و إلا لماذا الطعن إذاً؟

ويعلم كل قارئ لأعمالي مدى الحرص على التوثيق الأكاديمي التمامي وعدم الانتقاء لإثبات أو نفي ما أرى ، لكنهم جميعا يرون أن كشف السلبيات وتعرية الأخطاء هو هذا الطعن المقصود.

ولا يذكرون من قال:"رحم الله امرئ اهدى إليّ عيوبي".

إن الدكتور عمارة ورفاقه يضعون قاعدة غريبة ، وهي أن أي نقد اليوم لأوضاع الأمة أو تاريخها أو منهجها في التفكير ، يساهم في تعريتها أو فضحها أمام أعدائها وهي ضعيفة مهانة ، لذلك فإن أي لون من كشف السلبيات يصب مباشرة في خانة التعاون مع أعداء الأمة. ولما كان لكل أمة أعداؤها عبر العصور الماضية والآتية ،

وان الظروف ستصنع لكل أمة عدوا كل يوم ، فيبدو انه قد كتب علينا السكوت وعدم نقد أي أوضاع أو أفكار خاطئة لإصلاح شأن الأمة خوفا من أن يرى الآخرون عورة الأمة وهي مخصية.. بينما الكل يعلم أنها مخصية دون أن يرفع أحد ثيابها.

إن الدكتور عمارة ليس فريدا هنا ، بل هي جوقة كاملة تقف هذا الموقف:"لا صوت يعلو فوق صوت المعركة" ، انظر معي قول المفكر المستنير(حسبما يشار إليه) الأستاذ **فهمي هويدي** يقول:" عندما يكون الوطن جريحا والأمة مهزومة فإن تشتيت الجهد في الصراعات الداخلية الفكرية أو العراقية أو الطائفية لا يمكن أن يوصف إلا بأنه خيانة للأمة وجناية على الوطن والأمة " كتابه المفترون ؟؟؟ ص ١١٥. هو نفس كلام الدكتور عمارة: "إن مشروعه الفكري خارج الاجتهاد ، لأنه يطعن في صحيح الثوابت والعقائد التي تجمع الأمة مما يستفز مشاعر المسلمين وان هذا الاستفزاز يحدث في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدوا".

انظر كم المغالطات هنا:

أولا ما هو صحيح ثوابت الأمة؟

ثانيا ما معني "صحيح" هنا ، وكيف نتأكد انه صحيح ، ثم

ثالثا هل يستطيع الدكتور عمارة أن يقول لنا ما هي ثوابت الشيعة والسنة والجَهمية والمُرجئة والمعتزلة والاشاعرة ؟!.

يلقون الكلام متصورين أنهم يقولون كلاما مفهوماً متعارفاً عليه ، رغم أن ما يلقونه مجرد اصطلاحات مخترَعة لا تدل على شيء بقدر ما هي حامل للتحريض والإرهاب فقط ليس إلا.

مع الثوابت ممنوع الاقتراب أو التصوير ، وكل واحد وثوابته بين هذه الفرق المتفرقة ، وفي أي محاولة تفكير ستخرق أو تطعن ثوابت الأمة عند هذا الفريق أو ذاك ، لذلك يستحسن عدم التفكير أصلا.

والمضحك قوله إني أهدف من هذا الطعن في الثوابت إلى تفريق الأمة المجتمعة المتحدة المتوحدة في وجه ما يغلبها غلاب؟. إن قليل من الصدق مع النفس في مثل هذه المواقف يصلح العقل ولغة هذا العقل.

ثم يلقي بمفرداته المفترض عنده أنها من البديهيات. "في مناخ عالمي يتخذ من الإسلام عدوا". وهي بدورها من أوهام الدكتور عمارة ؛ لأننا نحن من يتخذ العالم

كله عدواً بطريقتنا في فهم الإسلام منذ فجره وحتى الآن ، ودفعنا العالم الحر ليستفرغ طاقاته التي كانت مصدر إبداعاته العلمية والحضارية والحقوقية في الدفاع عن نفسه ضد إرهابنا. إنه عقل لا يرى سوى نفسه وسوى مفاهيمه داخل كهفه.

* وقال الكاتب فهمي هويدي:"إن هذا الكلام لا يقال على الملأ ، لأن إشراك العامة في مثل هذه الأمور يثير الفتن"... تعليقك؟.

** لقد قال الأستاذ فهمي هذه الجملة ضمن مقال تحريضي مرعب كتبه بلغة أبي حمزة المصري وايمن الظواهري. اتهم فيه كتابي "الحزب الهاشمي" بأنه أسوأ مما كتب سلمان رشدي ضد الإسلام ، وانه كما قامت الأمة المسلمة ضد رشدي فعليها بقيادة الغيورين من أهل الهمة أن تقوم ضدي. وكان هذا الكلام في زمنه شديد الخطورة. و من اللطيف أن موضوع الأستاذ فهمي لا تجد فيه ما يشير إلي عثوره علي استشهاد بمصدر ضعيف أو خلل في الأمانة العلمية. كل ما فعله هو فضح ما رآه هجوما على الإسلام من وجهة نظره مع تحبيشها بدفع وحث للقتل بلغة تحريضية كتبها المفكر الإسلامي المستنير. أما الألطف فهي عبارته التي جئتني بها من هذا الموضوع ، و فيها اعتراف ضمني بان ما طرحته يستحق الطرح لكن ليس على العامة الذين في نظره يثيرون الفتن... وهذا الكلام لا تعليق عليه.

*هل الوحدة التي تعيشها متفردا في منزلك ومنعزلاً عن الناس ، أثرت عليك وأعمالك ؟

** الحقيقة لو كان المرض رجلا لأكلت كبده. وهو ما ألزمني الفراش ، ومعه أصبحت الحياة لا تطاق. لولا تواصلي مع الناس ومع أحبائي ، ومع من يكرهون ما أكتب عبر ما أكتب ، لما كان هناك أي معنى لمعاشرة الألم بلا توقف. وبالطبع أثرت هذا العزلة على مشاريع كبيرة بيدي لا اعلم متى أنجزها ، لكنها لم تؤثر على قضيتي لحظة ، لأنها سر استمراري في الحياة.

*هل فشل وتعثر الأفكار القومية مثل الناصرية يجعلك تتحول إلى فكر أخر ؟ فمثلاً هزيمة ١٩٦٧ جعلتك تتحول من الطرح القومي إلى الفكر الليبرالي ؟

** ماذا تريد مني؟ قاعدة "يحيا الثبات على المبدأ"؟

لقد ثبتنا يا أستاذ أكثر مما ينبغي ، فكانت كوارثنا أكثر مما ينبغي! وماذا بعد احتلال أرض الوطن ليعيد الجميع النظر في قناعاتهم؟

لكي أحيطك علما أني لم أكن حينذاك بهذا الذكاء بحكم المرحلة السِنّيّة. وقد ظللت من أبناء الفكر القومي بعدها فترة طويلة رغم الهزيمة؛ لأني كنت مصدقا على

المستوي السياسي بضرورة الخلاص بالفكر القومي ، بينما بدأت قناعاتي ، لأسس المشروع القومي ، نفسه تهتز مع تتابع الكوارث وانكشاف حقائق وأسرار هذا المشروع. فإذا به مِسخ منخور من داخله ، تسلّط على رقاب الناس باسم قضايا الأمة ، وأضاع في سبيلها كرامة الإنسان وقيم الحريات حتى أسقطه ضعفه بعد أن أصبح نظاما بلا شعب أو بالأحرى شعوباً مخطوفة في طائرة استولت عليها أنظمة. في حالة هبوط اضطراري دون ارض واضحة. وعندما عجّل صدام حسين بالضربة القاضية باحتلال الكويت ، كان من الذكاء أن ألتَفِتَ إلى ما أحمل من إرثٍ بغيض. فكان بحثي عن كرامة الإنسان قد سما فوق فكرة الوطن الواحد والوطن القوي والأمة الجبارة وحلم السيادة وزهو الانتصارات.

ومع الليبرالية لابد أن نعترف أنها أفضل النظم اليوم التي تحمي هذه الكرامة الإنسانية وترعاها. واعتقد انه يوم يوجد في بلادنا الإنسان الكريم ، سيوجد الوطن العزيز القوي.

* كنت دائما تزهو وتفخر انك أنجزت ما أنجزت دون الانتماء إلى أي حزب أو هيئة أو مؤسسة أهلية أو حكومية ودون أي مساعدة من أحد وفي ظروف صحية قاسية وظروف معيشية اقسى.. فلماذا الآن انضمامك إلى "حزب مصر الأم"؟.

** أنا لم انضم لحزب مصر الأم ولا غيره ولا أنوي الانضمام إلى أي حزب أو جماعة بل أني حتى لست عضواً في إتحاد الكتاب المصري ، لأضمن استقلالية كلمتي دون أي ضغوط أو أي مراعاة لأي خواطر أو لسياسة أي حزب أو لعدم خسارة منصب أو دخل. **فحريتي ككاتب هي بيت قدسيّ الخاص الذي لا يدخله أحد سواي**. لكني كنت صديقا لحزب التجمع الوطني المصري ، ولم أزل صديقا له ، واعتبر نفسي صديقا لحزب مصر الأم ، لكني لم ولن أكون عضواً في أي تنظيم كان. وهذا قرار اتخذته مبكرا وحرصت عليه رغم كل الإغراءات الممكنة المطروحة.

* هل الممارسات الدينية وراء التخلف الاجتماعي ، فاني أرى أن الممارسات الدينية والعقائد وراء ما نحن عليه الآن ؟.

** كل زمن وله ممارساته ، فكان الرقص وضرب الأرض ومخاطبة السماء وسكب بعض الماء على الأرض في زمن السحر تحفيزاً للطبيعة لتجود بمطرها على أساس أن الشبيه ينتج الشبيه. ثم كانت صلاة الاستسقاء في زمن الدين كممارسة شبه سحرية لكنها ارتقت من طلب الأرواح إلى طلب إله واحد. وقد تجاوز العالم المرحلتين.

ويعيش الآن مرحلة الممارسة وفق المنهج العلمي وأهدافه ونتائجه مع الاحتفاظ بالدين كمطمئن نفسي في زمن تطور مادي هادر كاد أن يفكك كل الإنجازات الإنسانية السابقة في التراحم الاجتماعي. وبذلك فانه قد يحدث تخلّف في أحد جوانب القيم الاجتماعية ليس بسبب الدين بل بسبب التطور العلمي الجارف المفاجئ. ومن ثم فالممارسات الدينية في حد ذاتها لا تكون عامل تقدم أو عامل تخلف إلا بنتائجها الملموسة في الواقع. ولا يجب حصر الدين هنا وحده كسبب إنما بحسبانه أداة في يد بشر يصوغونه وفق أغراضهم التي قد تؤدي إلى التخلف أو التقدم.

وإذا كنت تقصد الإسلام تحديداً ، فاني أقول لك انه بحالته الراهنة ، وبما يحمله من قواعد فقهية بل واعتقادية ، هو عامل تخلف عظيم بل أنه القاطرة التي تحملها إلى الخروج ليس من التاريخ فقط ، بل ربما من الوجود ذاته.

الإخوان و حلهم الإسلامي

عندما خرج العرب من جزيرتهم يحتلون دول الحضارات المحيطة بهم في القرن السابع الميلادي تحت راية الاسلام , كان قد تم وضع تعريف اسلامي للون جديد من الحرب , فالحرب المعتادة عبر التاريخ في مجموعها تندرج في نوعين : فهي اما حرب دفاعية أو حرب هجومية , أما الجديد الاسلامي فهو مفهوم يخلط كلا اللونين تحت اصطلاح الجهاد الذي يعني حربا دائمة في المطلق , لا تتوقف ما دام في الارض شخصا واحدا لم يعلن اسلامه بعد. أو لم يدفع الجزية للمسلمين اعلانا عن الخضوع واثباتا لسيادة المسلمين. لان المبدأ الاسلامي الجهادي يقوم علي عرض ثلاث خيارات علي غير المسلمين وهي: الاسلام أو الجزية أو الحرب.

وجهاد الفتوح يعد فقهيا من الفروض الاسلامية الاساسية مثله مثل الصلاة والصيام ويسمي **فرض كفاية** , أي يكفي أن يقوم به القادرون علي القتال من المسلمين ليسقط التكليف عن بقية المسلمين , ولكن بشرط اعانة المسلمين غير المقاتلين للمسلمين المقاتلين بالمال والدعم والسلاح وكل ما هو ممكن , واذا توقف هذا الجهاد فقد أثم كل المسلمين واستحققوا عقوبة ربانية بالذل والمسكنة والهوان , لذلك رأي المسلمون المعاصرون ان تخلفهم الحالي ، وضعفهم وهوانهم ، كان نتيجة تخليهم المؤقت عن فريضة الجهاد.

ولان خروج أي جيش بحروبه خارج حدود أرضه الوطنية هو عدوان علي بلاد الآخرين , ولأن الاسلام دين يفترض فيه أن يكون ضد العدوان علي الآمنين كأي دين أخر ، فقد تم تبرير هذا العدوان الغازي لاحتلال البلاد المحيطة بالجزيرة , بدمج الحرب الدفاعية بالحرب الهجومية تحت مسمي اصطلاحى واحد هو **(الجهاد)** الوارد في القرآن , وانه أمر الهي وليس بشريا لا يملك المسلم معه الا الطاعة والامتثال للقرار الالهي , فتصبح جريمة العدوان علي الآمنين ليست بجريمة لان من أمر بها هو الله , والله لا يأمر الا بالخير , حتي لو ظهرت عدوانا ، لانها في النهاية تمكينا لدين الله في الارض ، ويكون المدافع عن عرضة ووطنة وممتلكاتة هو المجرم ، لأنة يقف في طريق نشر دعوة السماء.

لذلك كان العدوان علي غير المسلمين وحتي اليوم من وجهة النظر الاسلامية هو شرع مشروع ، وهو الخير نفسه ، بل انه أفضل عبادة يتقرب بها المسلم الى ربه , لانها تصل الي قتل المسلم نفسه في حروب ذلك الزمان بالسلاح الابيض ، الذي كان لابد فيه من افتراض موت المحارب , وفي حال موته فان موته يسمي استشهادا في سبيل الله يدخل بموجبه جنات الله السماوية عريسا تزفه الملائكة للحور

العين , ومع تحولات الزمن وتطور أدوات الحرب التي يمكن بها القتال دون موت المقاتل أو تقليل نسبة الموت , فان المسلم يحنط التاريخ من بابين : الاول هو تقديس الفعل الأرهابى الحالى ، والثانى من باب اعتقاد سحرى قديم وهو ان الشبية ينتج الشبية فيذهب ليس بغرض القتال بل بغرض الموت شهيدا ، أى الاستشهاد بقتل نفسه قربانا للرب حتي يحوز الرضي الالهي ومكانا أفضل في جناته. وحتى ينتج الشبية شبيهة فينصر الرب المسلمين اليوم وهم فى ضعف وهوان كما سبق ونصر المسلمين الاوائل وهم أذلة على امبراطوريات زمانهم عندما جاهدوا طلبا للشهادة ....او هكذا يعتقدون.

ومع مفهوم الجهاد الاسلامي هذا لن تجد في علوم الفقه الاسلامي فقها للدفاع عن الوطن لان الوطنية في الاسلام كفر , لان وطن المسلم هو الاسلام ذاته , ومساحته الجغرافية هي العالم كله.

لذلك يقول الشيخ (يوسف القرضاوى) ملخصا موقف الأسلام من الوطنية بقولة : " ليس بمجتمع مسلم ذلك الذى ننقدم فية العصبية الوطنية على الأخوة الأسلامية حتى يقول المسلم وطنى قبل دينى" ثم يجعل الوطنية كفراوعبادة اوثان ، وان " دار الأسلام ليس لها رقعة محددة " ويترتب على ذلك ان تكون " مشاعر الولاء للأسلام واهلة هى التى تقود المجتمع وكذلك مشاعر البغض لأعداء الأسلام" من كتابة : ملامح المجتمع المسلم الذى ننشدة - مكتبة وهبة - القاهرة -٢٠٠١ - ص : ٨٦، ٢٤ ، ٨٠ ،٥٧ أو قولة فى كتاب أخر : ان الوطنية هى من صناعة الدول الأستعمارية بغرض تفكيك وحدة المسلمين او بنص كلامة " فى واقع مصر والوطن العربى والأسلامى .. شجع المستعمرون النعرة الوطنية هادفين الى ان يحل الوطن محل الدين ، وأن يكون الولاء للوطن لا للة وان يقسم الناس بالوطن لا باللة وان يموتوا فى سبيل الوطن لا فى سبيل اللة - كتابة الأخوان المسلمون - مكتبة وهبة - ١٩٩٩ ص ١٨ ،١٩. لكنك ستجد بدلا من مفهوم الوطنية أبوابا طوال لفقه الجهاد ، الذي كان عبر التاريخ هو الاعتداء الدائم علي غير المسلمين واحتلال بلادهم وتحويلها الي بلاد مسلمة كلما كان ذلك ممكنا. وقد أسمي القرآن وأحاديث النبي محمد هذا الفعل باسمه الصريح دون مواربة أو تحرج , كان **(غزوا)** ولا زال حتي غزوتى نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ المباركتين!. وهو فعل راق مقدس لا يشين صاحبه بل يشرفه و يرفعه درجات عليا من السمو. مثلما كانت أفعال القتل الجماعي في سيناء بأمر موسي النبي , أو مجازر يشوع , او حروب داود ، وكلها بذوق اليوم جرائم قتل جماعي ، لكنها زمانهم كانت افعالا مقدسة لانهم كانوا انبياء يتلقون اوامرهم من السماء , وسجل العهد القديم من الكتاب المقدس ذلك بوضوح شفاف ودون تزويق ، ودون أن يشعر المحرر بأي حرج فيما دونه. الفرق هنا أن

ما جاء بالعهد القديم وغبرة من كتب الأديان الأخرى ، قد أصبح قديما وانتهي بنهاية زمنه وأصبح مجرد فولكلور للمؤمن به , بينما هو في الاسلام حي قائم فاعل مستمر حتي اليوم.

كذلك كانت مهنة الحرب في تلك الازمنة الخوالي مهنة نبيلة شريفة عند مختلف الامم , لانها كانت تعود علي المحارب بالجاه والمال والمكانة الاجتماعية , و كانت كذلك في الاسلام , لكن الاسلام أعطاها زخما جديدا فأصبحت اضافة لشرفها ونبلها حرفة مقدسة , وأباح الاسلام للمحارب المسلم الاستيلاء علي كل ممتلكات غريمه بعد أن أباح له دمه , سواء كانت تلك الممتلكات مال أو عقار , أو حتي نساء وأطفال أو رجال أسري , يتم بيعهم في أسواق النخاسة , فكانت مهنة الجهاد مصدر ربح عظيم للمسلم المجاهد فحاز المكانة الاجتماعية الرفيعة وصار ينظر اليه حتي اليوم بحسبانه بطلا مقدسا اسطوريا يتماهي في شخصه كل المسلمين. ونموذجا لذلك سفاح تاريخي لا مثيل له هو **خالد بن الوليد** الفاتح الدموي لبلاد العراق ؛ الذى كان يتسلى ويتلذذ بلذة القتل للقتل ، ومع ذلك هو في نظر المسلمين نموذجا مقدسا وصفه الخليفة أبو بكر بأنه " سيف الله المسلول" ، ووصفه مرة اخرى بقوله : " عجزت الولائد أن يلدن مثل خالد" ، و من ثم شكل خالد نموذجا يحلم المسلمون اليوم برجل مثله يقودهم لفتح بلاد العالم مرة أخري.

في تلك الازمان كان شعار الجيوش الاسلامية الفاتحة لبلاد الآخرين هو : "الاسلام أو الجزية أو الحرب".

كان هذا ما يعرضه خالد بن الوليد ، أو عمرو بن العاص ، أو القعقاع أو غيرهم من قواد الجيوش الاسلامية علي الشعوب الاخري. ويبدو الشعار دعوة لدين جديد **لكن الحقيقة لم تكن ابدا كذلك** , لانهم لو كانوا يقصدون الدعوة لدينهم الجديد حقا , لأعطوا الناس فرصة للتفكير في هذا الدين الجديد , ولاصطحب الجيوش معها فقهاء الدين لشرحه للناس قبل القتال , وعقد المناظرات مع أصحاب الديانات السابقة لاثبات تفوق الاسلام علي غيره من أديان ، لكن ذلك كله لم يكن واردا ، ولم يحدث ولا مرة واحدة في تاريخ الجهاد الاسلامي.

هذا رغم أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما من أبطال الجهاد قد ظلوا على دين قومهم بل وقادوا جيوش مكة ضد المسلمين فى أكثر من موقعة ، ومن ثم استغرقوا سنوات طوال منذ بدء الدعوة الاسلامية حتي قرروا اعلان اسلامهم ، وانضمامهم للقوة الجديدة المنتصرة في جزيرة العرب.

بينما الجيوش الاسلامية الفاتحة بقيادة هؤلاء انفسهم ، عندما كانت تصل في سيرها الفاتح أبواب أي مدينة كانت تطلب اجابة فورية واضحة علي العرض : الاسلام أو الجزية أو الحرب. رغم أن قواد الجيوش المسلمة أنفسهم لو سألناهم عما هو الاسلام ما أجابونا اجابة واضحة , لأن القرآن الكتاب المقدس الاول لم يكن قد تم جمعه بعد , وكان المسلم يكتفي بحفظ بضع آيات يستخدمها في صلاته , ولم يكن بين هذه الجيوش أحد من حفاظ القرآن ، بعد أن تم التحفظ عليهم في يثرب عاصمة المسلمين حفاظا علي حياتهم ، بعد موت اكثرهم في حروب المنشقين علي الدولة في الجزيرة (حروب الردة). كذلك لم تكن احاديث النبي قد تم جمعها وتدوينها بدورها ، ولم يتم ذلك الا بعد مرور قرن ونصف من الزمان , ولا كانت علوم الفقه قد ظهرت بعد , بل ولم تكن لغة العرب نفسها قد تم وضعها في شكل قواعد واضحة متفق عليها.

ان شعار الاسلام أو الجزية أو الحرب ، لم يكن هدفه الحقيقي هو دين الاسلام أو أسلمة البلاد المفتوحة. بقدر ما كان اخضاعا لهذه البلاد لسيادة العرب , وتبرير جرائم القتل والابادة الجماعية والنهب والسبي ، بكون الجيوش العربية مسيرة بأمر الرب لنشر دينه , لأن سلب الممتلكات أو سبي النساء أو أسر الاطفال وبيعهم في أسواق العبيد ، كان حق الرب الذي شرحه في القرآن وأوضحه بلا لبس , وكان العرب ينفذون ارادته القدسية , لذلك كانوا يسقطون الجزية والاسر والقتل عمن يخضع للرب ويعلن اسلامه.

ولأن المثل العربي يقول: "كل عربي تاجر" وهي حقيقة تاريخية معلومة , فقد كانوا تجار العالم القديم بعد أن انقطعت طرق التجارة العالمية ، خلال زمن طويل قبل الاسلام بسبب حرب الفرس والروم ، ولم يبق أمنا لها سوي صحراء الجزيرة التي لم يرغب فيها لا الفرس ولا الروم , ومن ثم أصبح العرب تجار العالم القديم بلا منازع. اصبح الجهاد صفقة علي طريقة التجار , صفقة بين الله وبين العرب , يقوم بموجبها العرب باخضاع العالم للعبودية لله , مقابل أخذ نصيبهم من الصفقة أموال ونساء واطفال وارض المهزوم. وبموجب هذه الصفقة تنازل الله لهم عن حقه في الغنائم ، والتي كان يأمر في العهد القديم بحرقها جميعا للرب (انظر سفر الخروج والعدد ويشوع) , لكنه قرر تركها للمسلمين في حديث النبي محمد " أحلت لنا الغنائم ولم تحل لأحد من قبلنا" ، وأكد القرآن تنازل الرب عن عن حقه في الغنائم للمسلمين بدلا من حرقها ، وأنها حلال مشروع بقول القرآن للمسلمين " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا". والوصف طيبا هنا يضيف الي شرعية الغنائم صفة الخيرية أيضا والشرف وطهارة المصدر. هذا باختصار ما كان عن مفهوم الجهاد منذ ظهوره , ويزعم كاتب هذه السطور أن هذا الشعار لا زال قائما وتمت استعادته بعد تحوير طفيف , هو شعار الاخوان المسلمين " الاسلام هو الحل" ومعني ان يكون

الاسلام هو الحل , ان العلم الحديث الذي ادي لتقدم العالم كله ليس هو الحل لتخلف بلاد المسلمين , وهو ما يعني ضمنا تنشيط الخرافة وروح التواكل والاعتماد علي الله وليس علي العقل ، وهو ما يعني ايضا أن الديمقراطية ليست هي الحل , الاسلام هو الحل وليس عقلي ولا علمي ولا يدي ولا ديمقراطيتي ولا حقوقي الانسانية هى الحل.

شعار يرفض أي طريق للحل سوي ذاته , شعار يعني عدم اللجوء للحلول البشرية ما دامت لدينا الحلول الالهية , والحلول الالهية تقوم أساسا علي تعبد المسلم لربه , بالصلاة والصيام والحج والدعاء وغيرة ، وهو كفيل بانقاذه وانقاذ امة المسلمين. وأعلي درجات هذا التعبد هي الجهاد لاحتلال بلاد الآخرين ، ونزح خيراتها الي بلاد المسلمين فيتم حل كل مشاكل المسلمين.

لذلك حصد الاخوان في الانتخابات التشريعية ما حصدوا من أصوات لأن شعار الاسلام هو الحل ، هو شعار كل مسلم وليس شعار الاخوان وحدهم , ولو كانت في مصر انتخابات نزيهة حقيقية لاكتسح "الاسلام هو الحل" كل الاحزاب الاخري , ليس لأن الاخوان جماعة منظمة تنظيما دقيقا كما يبرر المتفلسفون ، وليس لانها حقيقة واقعة في المجتمع وفي الشارع المصري اثبتت نشاطها التنظيمي القوي حسبما يري المنظرون السياسيون , فليس مثل تلك الاسباب وراء تصويت المسلم المصري للجماعة , لانه ليس هكذا يفكر رجل الشارع المصري , المصري يستشعر الهوان والتخلف والفقر والهزيمة , ويعتبر ان ذلك بسبب آثامه وبعده عن طريق الله حسبما يقرعه مشايخ القنوات التليفزيونية صباحا ومساء , ومن ثم يري في الجماعة نموذجا للتقوي والالتزام , وانها هي الاقرب الي الله , وانها لو حكمت مصر فان الله سينصرها لانها الاكثر طهرا وقربا من رب الاسلام , فهم ملتحون مصلون صائمون حريصون علي اداء الصلوات الجامعة , نساءهم منقبات قانتات , هم نموذج الصحابة الاوائل للنبي الذين تدخل الله بنفسه من أجلهم ، ورفعهم من الذل والفقر الي التمكين والعز والقوة وفتح بهم بلاد العالم.

ان الشارع المصري عندما يعطيهم صوته فهو يعطيه لما يتصور انه الاسلام الذي يرضي عنه الرب , لذلك لم يجد الاخوان أي بأس في استثمار هذه المشاعر الفطرية البسيطة فكان اعلانهم عن أنفسهم في الانتخابات للمواطن (اعطي صوتك لله) , (لا ميثاق ولا دستور. قال الله وقال الرسول).

المصري يري الفارق الهائل بين العالم المتقدم وبين بلاد المسلمين فلا يري أي امكان للحاق بالمتفوقين بجهودهم البشرية , ومن ثم فلا حل سوي ان يتدخل الله بنفسه لينقذ امته المختارة بنفسه , فيعطيه صوته , يعطيه للاخوان.

يعطيهم صوته ليتدخل الله وينتقم من اليهود والنصاري (وعادة ما يتم تركيز الكراهية هنا على اسرائيل وامريكا) الذين اهانوا المسلمين بتفوقهم ، ويرفع شأن المسلمين الي مقام السيادة الموعودة ربانيا. لذلك يقدم الاخوان أنفسهم للناس بوصف أنفسهم بأنهم المسلمون , لتعميق شعور بقية المسلمين بأنهم غير مسلمين حقا بل آثمون خطائون. لذلك يلتزم الاخوان المظاهر الدينية التي تجعلهم في نظر البسطاء من مسلمي اليوم كالصحابة الاوائل , ومع هذا الاسلام المخلص النقي يصبح شعار (الاسلام هو الحل) هو الحامل للشعار القديم , هو الحل لعرض الشعار القديم علي العالم القوي الكافر: الاسلام أو الجزية أو الحرب. ويحمل الشعار الجديد حماية الرب الذي كان يحمي الشعار القديم ، فاحتل المسلمون به نصف العالم القديم المعروف زمانهم. الشعار يعني ان الرب سيكون راضيا عن الاخوان ورضاه يعني تسليمهم حقهم في الصفقة التجارية ، ليكونوا أصحاب الحق في الحكم والادارة , وان هذه ارادته ورغبته ، لان الحكم بالاسلام فرض شرعي يعلنه الاخوان دوما ، بتأكيدهم أنهم سيحكمون بالشريعة الاسلامية , وهو الحكم الكفيل بتأكيد الصلح مع الله , ليعود رضاه علي المسلمين فيقوي شأنهم ، ويعودوا سادة العالم من جديد.

الشعار يتضمن أيضا معني أن الاسلام كما هو الحل فهو الغرض والهدف , وان الاخوان انما ينفذون مشيئة الله ولا يبغون من وراء ذلك مكسبا ولا مغنما ، فهم لا يريدون من الوصول الى السلطة وحكم البلاد الا خير الاسلام والمسلمين ، مثلهم مثل الصحابة الاوائل الاطهار , هو ذات ما كان يقوله هؤلاء الصحابة القدامي بشعار الاسلام أو الجزية أو الحرب , لكنهم عندما تمكنوا قتلوا وذبحوا وسلخوا ونهبوا واغتصبوا.

وقد كتب صاحب هذا القلم منذ حوالي عام بمجلة روزاليوسف القاهرية ان ما يفعله الاخوان في مصر بمبادئهم الوهابية هو اعادة فتح عربى- هذة المرة سعودي - لمصر كرة أخري ، في موضوع بعنوان (ثأر الدرعية واعادة فتح مصر) , وبعد اشهر , ولأن النبوءة صحيحة , فقد أعلن الاخوان ذلك وبنفس التعبير والمعني ، في وثيقة **خيرت الشاطر** بعنوان (فتح مصر) ، ليثبت صدق صاحب هذا القلم. انهم يعيدون فتحها ليس بالشعار القادم من الخارج: الاسلام أو الجزية أو الحرب , انما بشعار جديد يتناسب واعادة احتلال مصر من الداخل ، والتسلط عليها بشعار الاسلام هو الحل. وهذا الحكم أو التسلط يسمونه اليوم (التمكين) ، وعندما تمكن اسلافهم من قبل فعلوا ببلادنا وشعوبنا الاهوال ، فماذا عن تمكين الاخوان واعادة فتح مصر من الداخل؟

وكما ردد الصحابة الاوائل الفاتحون شعارات جميلة من قبيل ان الناس يتساوون كأسنان المشط ، وأنه لا فضل لعربي علي أعجمي , وانه متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا , وانه لو عثرت دابة بالعراق لسأل الله عنها الخليفة بالحجاز , وان الدعوة للاسلام تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.. لم يطبق أي من هذه الشعارات في حروب الفتوح يوما بل كان ما يطبق هو الذبح والسلخ والنهب والاسر والسبي.. باختصار الاسلام أو الجزية أو القتل.. فان الاخوان المسلمين يرددون نفس الكلام اللطيف ولكن مأخوذا من مونتسكيو ، وجان جاك روسو ، وفولتير , فيحدثوننا عن الحريات وحقوق الانسان والشوري التي سبقت الديمقراطية، لكن شعارهم (الاسلام هو الحل) يستبعد فورا كل هذه الكلام الجميل ، لان واقع الاسلام الاول الذي يريدون استعادته ، لا يعرف شيئا عن المساواة ولا الحريات ولا حقوق الانسان فكلها مفاهيم معاصرة بنت زماننا اليوم , ناهيك عن كون تطبيقات المسلمين الاوائل لم تعرف لا المساواة ولا الحرية ولا الحقوق ، حتي بمفاهيم زمانها و ماقبل زمانها كما في دساتير روما أو كمافى ديمقراطية أثينا مثلا. وعليه لا يبقي من الشعار سوي انه ليس العقل ولا التفكير العلمي الذي انتج مفاهيم زماننا عن الحريات والحقوق والتقدم , ولا الديمقراطية ، هي أحد الحلول الناجعة لمجتمعاتنا التي يزعمون أن لها خصوصية دون كل البشرية لا يصلح معها الا الاسلام وحده حلا' ، هي خصوصية الطاعة المطلقة لأولي الامر من الاخوان عندما يصلون الي الحكم.

لا شك ان الاستبداد الذي مارسته الحكومات المتعاقبة منذ يوليو ١٩٥٢ وحتي اليوم , كان التهيئة والتمهيد للشارع المصري لقبول الاستبداد الالهي ، كتعويض أكرم من الاستبداد الحكومي ، ممثلا في التصويت للاخوان , بعد ان تركت الحكومة خاصة منذ زمن السادات كل وسائل التعليم والاعلام للفكر الدينى المتطرف، ليستعيد الاسلام الجهادي نفوذه في الشارع المصري , من باب استخدام المواطنين المتعصبين للأسلام فزاعة للمجتمعات الحرة في الغرب. ليكون الشارع الارهابي هو البديل الاوحد للحكومة ازاء غرب بات يعاني من فوبيا الاسلام , ويصبح الخيار مابين الحكومة المستبدة وبينا الشارع الهمجي المتخلف الذي يقفز الي القتال والاستشهاد طوال الوقت , حتي تحول الشارع المصري الي أشد انواع التعصب كراهة وبشاعة , وهو ما تمثل في احداث متتالية ضد الاقباط المفترض انهم اهل الوطن ، وامتدادة فى عمق التاريخ وهم اصالتنا الحقيقية , ناهيك عن الارهاب الدموي وهو ما يشير الي عودة الاسلام الجهادي وعقيدة الولاء البراء ، للتمكن من عقل المسلم المصري الذي تم مسح وعيه بالكامل لصالح الجهاد.

وخلال هذه الحقبة لم تنشغل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية بما حدث في بلادنا , ولم تتساءل عن حقوق الانسان فى بلادنا بشكل جدي , طالما كان جنود الجهاد يقومون بما تريده منهم في افغانستان او فى غيرها , الكارثة انه حتي بعد تحول هذا الجهاد ضد امريكا والغرب تقول وزيرة الخارجية الامريكية **كوندوليزا رايس** للواشنطن بوست : " اننا لا نخشي وصول الاسلاميين او المتطرفيين الي الحكم , لان التطرف يكمن في غياب قنوات النشاط السياسي والاجتماعي".
ومصيبة اخرى قالها دبلوماسي امريكي آخر انه :" لا ضرر من وصول الاسلاميين الي الحكم اذا مارسوا تداول السلطة عبر الديمقراطية" , كما لو ان الديمقراطية هي فقط تداول السلطة بصندوق الاقتراع. دون النظر الي شروط الديمقراطية وقيمها التأسيسية قبل هذا الصندوق من تعددية جزبية، واحترام لحقوق الانسان ، ونسبية الحقيقة ، ورفض المطلقات والفكر المقدس كحاكم او معيار سياسي. وهي كلها كفر صريح من وجهة نظر اسلامية , واجلي من يمثل وجهة النظر الاسلامية هم الاخوان واخوانهم فى العراق او فى قندهار. اما اكثر اللطافات الامريكية في التعامل مع المشكلة فهي موافقة الكونجرس علي تخصيص ١.٣ مليار دولار لمشاريع الغرض منها تطبيع وترويض الاسلاميين المعتدلين؟!

ومثل هذه الفهم الامريكي عن اسلام وسطي معتدل يشير الي عدم معرفة علمية دقيقة بتاريخ الأسلام وبالفرق الاسلامية اليوم وأمس ، فهذا التيار المعتدل أو الوسطي والذي يعد أبرز من يمثله الآن الشيخ **يوسف قرضاوي** ، **وفهمى هويدى وسليم العوا** وغيرهم ، هو ضد الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وضد الحريات المدنية ، وضد الحقوق السياسية والمدنية للمرأة. وضد حقوق الاقباط , نتيجة الاصرار علي تفعيل آيات القرآن والاحاديث ، والاصرار علي صلاحيتها لكل مكان في الارض ولكل زمان حتي نهاية الازمان , وبين تلك النصوص المقدسة حواجز قاطعة بين المؤمن اي المسلم وغير المؤمن اي صاحب اي دين غير الاسلام باطلاق وخاصة اليهودي والمسيحي , والموقف من هؤلاء قتالهم حتي يسلموا او يخضعوا للمسلمين بدفع الجزية وهم (صاغرون) ، أي وهم أذلاء مهانون ، فالحدود قاطعة بين الاثنين , اضافة الي عقيدة الولاء والبراء التي يستحيل معها قيام أي لون من الاعتدال أو الوسطية.

وفي الاسلام مبدأ اسمه **(التقية)** أي اظهار المسلم غير ما يبطن ، حتي يحقق غرضه بالنصر علي عدوه , و هو ما تستخدمه الفرق الاسلامية اليوم , فيقولون كلاما جميلا ومواعظ لطيفة ويعلنون ايمانهم بالديمقراطية ، لكن مع الاصرار علي تطبيق الشريعة الاسلامية التي لا تلتقي ابدا مع الديمقراطية. فهم يريدون اقامة دولة علي نسق دولة الخلافة الراشدة , دولة السلف والفقه الاسلامي الذي لم يتغير مطلقا

عبر القرون واذا كانوا يزعمون انهم سيطورون الشريعة والفقه فما لهم لم يطوروا شيئا حتي الآن؟ أم تراهم سيطورون بعد ان يحكمونا!! هذا موقف لا يمكن الثقة به مطلقا.

حتي اليوم ترفض كل الفرق الاسلامية علي تنوعها اعلان الغاء الرق والعبودية لان بالقرآن ثلاث وعشرين آية تؤكد العبودية ، ناهيك عن الاحاديث النبوية ، وفقه كامل للرقيق ، و حتي اليوم ترفض كل الفرق الاسلامية الغاء العقوبات البدنية ، لانها تقوم علي نصوص قرآنية وحديث نبوي ، حتي الان يرفضون مجرد الاعتراف بالمجازر الهائلة التي اقامها المسلمون لأهالي البلاد المفتوحة ، ناهيك عن الاعتذار عنها اعتذارا لائقا يشير الي تغيرهم. وحتي اليوم يرفضون ان تكون للمرأة حقوقا كالرجال. فهي نصف ذكر في ميراثها ، ونصف ذكر في شهادتها امام القضاء ، وهي ناقصة عقل ودين بنص الحديث الصحيح , هم يقولون انهم مع حقوق المرأة , لكنهم ابدا وحتي الان لم يناقشوا هذه المسائل الحقوقية الاساسية ، باعتبارها قرارات الهية لا تقبل النقاش ولا التعديل , بل هم حتي اليوم ضد قيام مجلس تشريعي يشرع فيه البشر لانفسهم ما يناسبهم من قوانين ، لان المشرع هو الله. تعالوا نستمع الي الاخوان وكيف يمارسون (التقية) بالاعلان عن ايمانهم بالديمقراطية ، **دون أن يتنازلوا مليمتر واحد عن الشريعة التي هي نقيض الديمقراطية بالكلية** , يقول المرشد العام للاخوان الاستاذ **مهدي عاكف** لمجلة آخر ساعة المصرية بتاريخ ٢٠-٧-٢٠٠٥ " ، اننا نؤمن بالديمقراطية ايمانا كاملا , لانها هي التي تأتي بانتخابات حرة نزيهة , اما بالنسبة للديمقراطية التي لا حدود لها (أي قيم الديمقراطية الحقوقية الليبرالية العلمانية) والتي تقول أن الشعب هو كل شئ , نقول لها: لا , ان رأي الشعب مقنن بالشريعة ، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا , انما نحن ديمقراطيون الي اقصي حدود الديمقراطية ، فلا ننسي ان الدستور المصري يقول ان الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع" ..... الاخوان مع ديمقراطية صندوق الانتخابات ، لكنهم ليسوا مع تشريع المجلس أو الشعب , هم يريدون ديمقراطية تصل بهم الي الحكم , وبعدها يحكمون باسم الله. اذن لقد دخلوا المجلس لالغاء دورة في التشريع ، وربما احياء مشروع تطبيق الشريعة المقبور.... وهذة نبوءة اخرى اطرحها عليكم والايام بيننا

وعندما طالب صاحب هذا القلم ومن بعده الاقباط بالغاء **المادة الثانية بالدستور** رد المرشد العام في حديث لصحيفة المصري اليوم في سبتمبر ٢٠٠٥ بقوله :" ان هذه المطالبة تمس خطوطا حمراء لا يجب الاقتراب منها" ، واستكمل نائبه يقول :" ان هذه المطالب بمثابه خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه , لان ذلك سيفجر حربا اهلية داخل مصر" ، وزاد عليهما محامي الجماعات ممدوح اسماعيل قوله:" ان هذه

المطالب لن تكون الا علي جثث الجميع , وأصحاب هذا الرأي يطالبون بحمامات دم في مصر". .... أما المرجع الديني للجميع الشيخ قرضاوي فقد اعلن في برنامج الشريعة والحياه بقناة الجزيرة قوله:" اذا كان المراد بكلمة مدني.. العلمانية فهذا مرفوض عندنا , لان الاسلام عندنا هو دين الحياه للفرد وللأسرة وللمجتمع وللأمة وللدولة.. ونحن نرفض النقص من الاسلام أو أن نحذف شيئا منه فهذا ليس من حقنا , لان الله أنزله كاملا والكامل لا يقبل الزيادة والنقص ٢٠-٢-٢٠٠٥"

والذي لا يلتفت اليه السياسيون في الغرب ، هو أننا عندما نطالب الاخوان بالالتزام بالديمقراطية الحقوقية العلمانية ، ومبدأ تداول السلطة بين أحزاب متعددة ، وحرية السوق والحريات الاساسية : كحرية العقيدة وحرية الفكر وحقوق المرأة والعمليات المصرفية والاتمان وحقوق الاقليات ، عندما نطلب هذا من اى فريق اسلامى فاننا نطلب المستحيل !!.. لان هذه المطالب تقع تحت طائلة قانون فقهي لا يتنازلون عنه ابدا هو " انكار معلوم من الدين بالضرورة". بحيث ان المطالبة فقط بهذه الحقوق تجعل صاحبها مرتدا عن الاسلام وعقابه القتل بجز الرقبة ، لان الاسلام لا يعرف أحزابا فهناك فرقة واحدة ناجية هي التي يجب أن تحكم ، وتعد الفرق الأخرى كلها كافرة، ولا حرية في العقيدة لانها ارتداد جزاؤه القتل , وليس هناك حرية تفكير ازاء النصوص المقدسة , والعمليات المصرفية ربا , ولا حق للاقليات الا بموجب عقد الذمة الكرية البغيض , ولا حقوق للمرأة مساوية للرجل في الميراث أو الشهادة فذلك نقض لحدود الله المنصوص عليها في الشريعة ...كما قال قرضاوى المعتدل الوسطى من هنيهة .

لذلك يري قرضاوي في الحلقة المشار اليها ان العلمانيين العرب " يسعون الي تفكيك الاسلام ويريدون أن يحذفوا من الاسلام الكثير من تعاليمه ، فيريدونه اسلاما بلا *جهاد*، وزواجا بلا طلاق ، وعقيدة بلا *شريعة..* وحقا بلا قوة ، ومصحفا بلا *سيف* ، بينما هو رسالة تشمل كل جوانب الحياة من ادب الاستنجاد الي بناء الدولة ، ويشرع للانسان منذ أن يولد حتي يموت". !!!

وهكذا سنجد ان الفرق المتطرفة غير الوسطية أو غير المعتدلة والتي ترفض الديمقراطية علنا , هي الاكثر صدقا مع نفسها ومعنا ومع العالم , فمن أعلن رفضها ، أراح واستراح ، ويمكن التعامل معه بأسلوب ورد يناسب موقفه المعلن , اما المشكلة الحقيقة في بلادنا والمعوق الاساسي الذي يخدعنا ويخدع الغرب ، فهو النصاب الاخواني أو النصاب الحكومي القائم. بما يدعيه من تبني للديمقراطية والحقوق ، بمسميات حقوقية معاصرة مع طرح البديل الاسلامى الذى يناسبنا .... ويحمل فى طياتة توحش زمن مضى منذ ١٤٢٥ عاما، ، بدلالات

ومعاني لا تصلح لزماننا لانها وضعت لزمن مضي منذ ١٤٢٥ عاما ، يغطيها ويزيفها بألفاظ زماننا , فقط ألفاظ ومجرد كلام من باب (التقية).

وتأسيسا علي كل هذا , فان صاحب هذا القلم يرن كل أجراس الخطر في حال استيلاء أي تيار اسلامي علي الحكم في مصر أو في أي بلد مسلم آخر ،ا جراس خطر علي حضارة الغرب نفسها , ان الامر عندما يكون واضحا بشدة لا نراه لوضوحه , فلدي كل الفرق الاسلامية علي الارض مبدأين لا يتنازل عنهما ابدا: الاول ان الاسلام دين عالمي , والثاني ان الاسلام دين ودولة , والنتيجة شديدة البساطة التي تترتب علي هاتين المقدمتين هي: ان العالم كله لابد ان يكون دولة المسلمين. وهي النتيجة المدونة بابواب الشريعة الطويلة ، ومعلوم اساسي من الدين بالضرورة من ينكره فقد كفر. فالمقدمتان والنتيجة هم من صلب الشرع الاسلامي , لكن رجال الاسلام السياسي يعلنون للعالم المقدمتين دون النتيجة الواضحة , ولان العالم المعاصر في الغرب لا يفكر بطريقة اسلامية فانه لا يري النتيجة المحتومة. وهي ان العالم كله هو دولة الاسلام الدين العالمي. لذلك تري الجماعات الاسلامية المعارضة علنية وسرية , ان كل حكومات العالم غير المسلم هي حكومات غير شرعية , لانها تقوم علي ارض هي ارض الاسلام اصلا ، وتحكم شعوبا هي شرعا امتداد للامة الاسلامية , لكنهم يعيشون في ظلام الكفر تحت حكم القانون البشري الذي يسمونه (الطاغوت) ، وانه بالجهاد سوف يتم تصحيح الاوضاع العالمية , وتمكين دولة الاسلام من أرضها ومن شعوبها المارقة.

ان الحكم باسم الاسلام اخواني أو طالباني (لا فرق) لو أقر أن لدولته حدودا فسوف تنتهي عندها سلطاته وشرع دولته , لانه يكون قد تنازل عن ركن اساسي من اركان الاسلام وهو عالميته دينا ودولة , لذلك لم تقر الخلافة الاسلامية عبر امتداد تاريخها الطويل بحدود لدولتها ، ولم تقر بوجود دول أخري تقيم معها علاقات دبلوماسية تعترف بها بموجبها ، وظل الحال كذلك حتي زمن السلطان العثماني عبد الحميد أخر سلاطين الخلافة ، الذي اضطر مكرها ازاء المتغير العالمي الذي فرض نفسه علي الخلافة ، للاعتراف بحدود لدولته وبوجود دول أخري. لكن هذا المتغير العالمي لم يفرض نفسه علي المفاهيم والقواعد الشرعية الاسلامية , والتي تقوم عليها جماعات كالاخوان المسلمين , وليس الاعتراف بوجود دول اخري الا كذب شرعي مسموح به عند الضرورة بمبدأ (التقية) ، ولانه من صحة اسلام المسلم عدم الاعتراف بالدول الاخري , فهو ما يعني ان ما تم عقده من اتفاقات ومعاهدات مع تلك الدول ، وهو أمر يتنافي مع الشريعة وباطل ولا يصح الالتزام به ، الا لضرورة ضعف المسلم المؤقت وقوة غيره , وهي شئون مؤقتة لان الايام دول يداولها الله بين الناس قوة وضعفا. وضمن تلك العهود اتفاقية السلام مع اسرائيل ،

والتي هي الكفر بعينه لذلك قتلوا السادات بسببها , وفي حال قيام حكومة اسلامية فستكون مكلفة شرعا بتصويب أوضاع العالم، بازالة الدول الكافرة لتوسيع حدود دولة الاسلام لتتطابق مع خريطة دولة الاسلام كما أرادها اللة.. خريطة العالم .

واعمالا لذلك تصف اللائحة التنظيمية لجماعة الاخوان المصرية الجماعة بانها:" هيئة اسلامية جامعة تعمل علي اقامة دين الله الاسلام في الارض واقامة الدولة الاسلامية التي تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه , واعداد الأمة إعدادا جهاديا ".

بينما صك مصطفى مشهور مرشدالاخوان الأسبق المنافيستو الواضح دون اى التباسات: يقول مشهور : "ان الجهاد والأعداد لة يخدم مهمتنا العظيمة ، ليس لمجرد دفع العدوان ..ولكن الجهاد لأتمام المهمة العظيمة وهى اقامة دولة الأسلام والتمكين لهذا الدين .. ونشر الأسلام فى ربوع العالمين - السبييل الى الجهاد –

عن مجلة المكتبة العربية (لايدن - هولندا) يوليو ٢٠٠٤